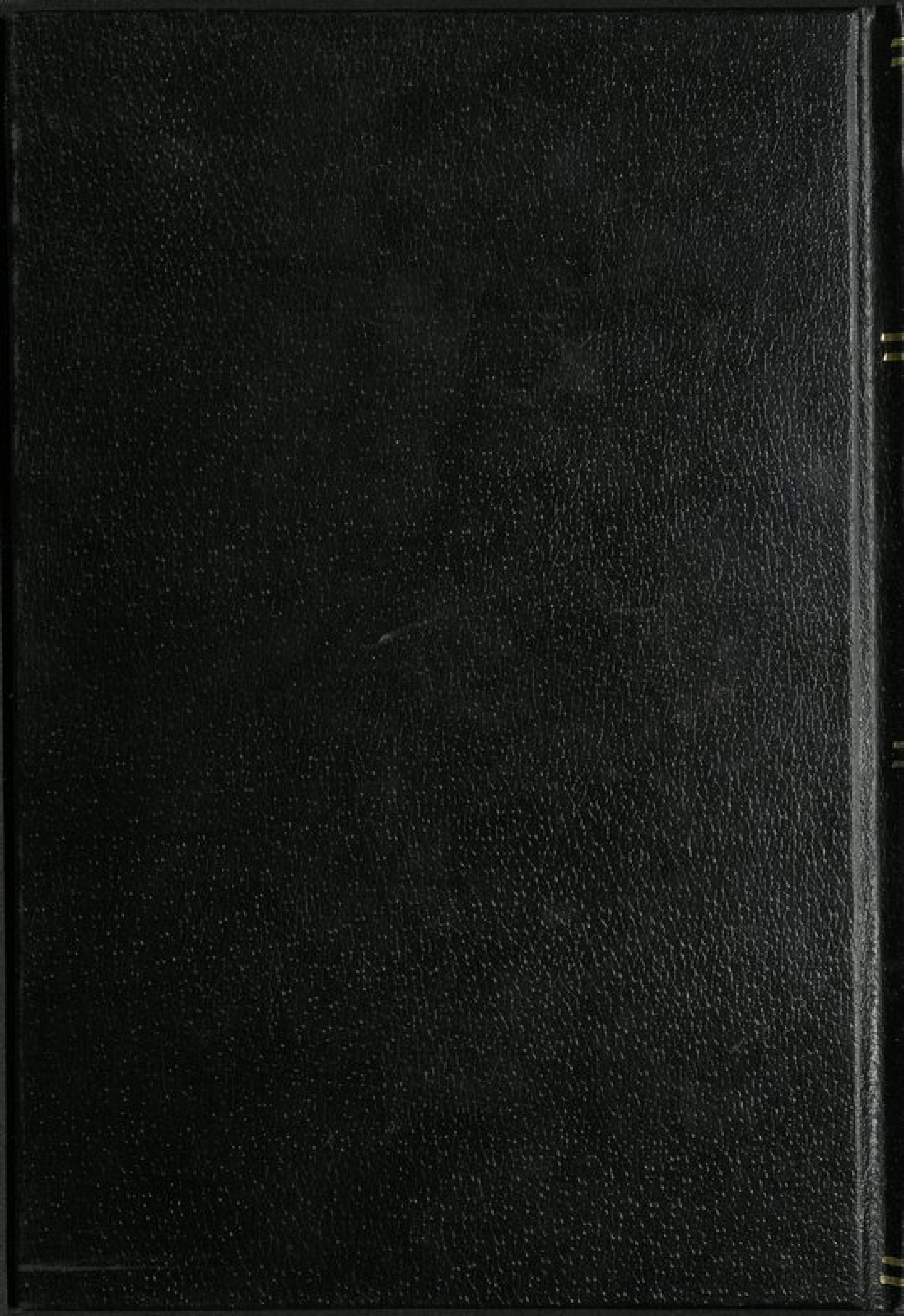
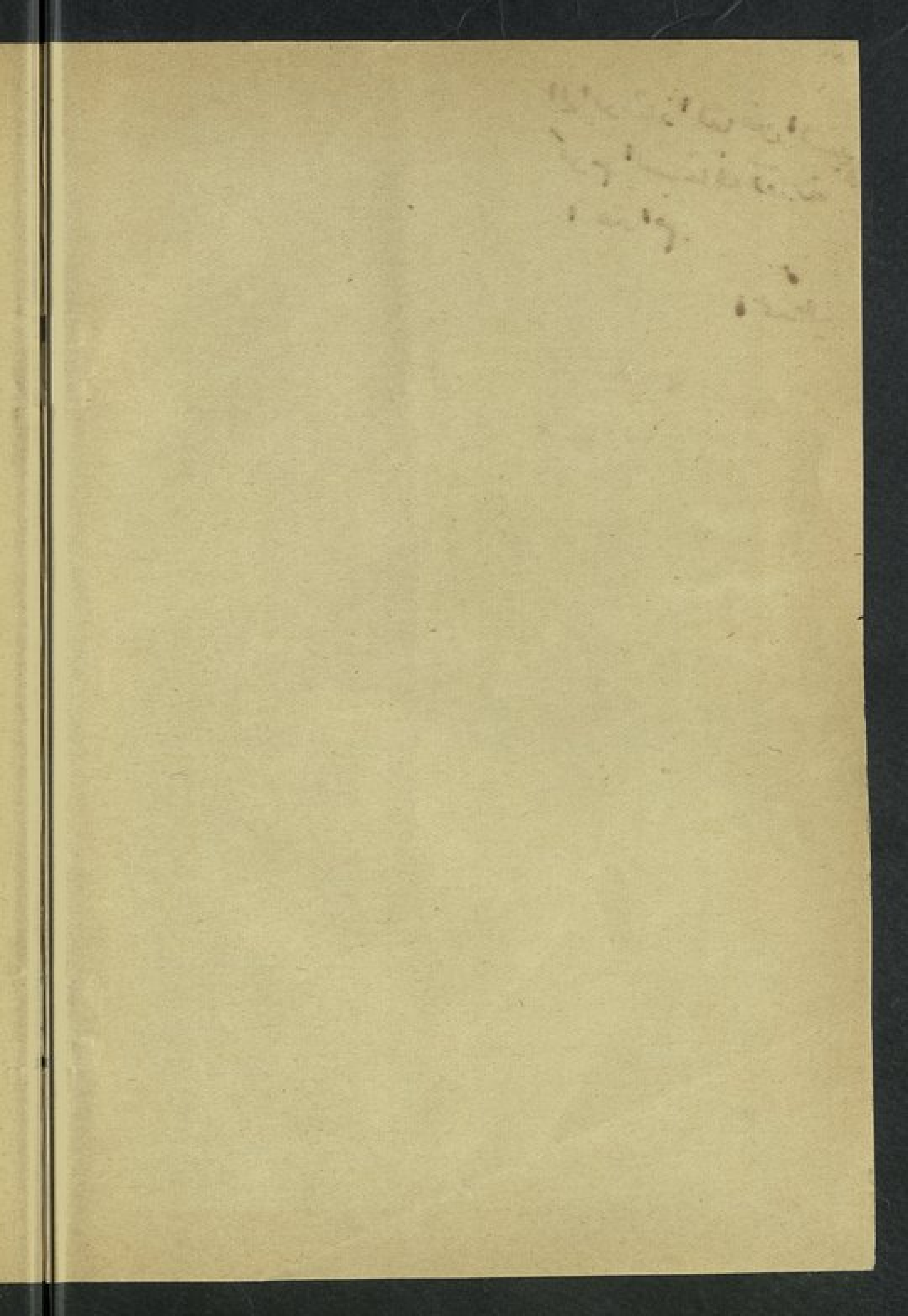


الى الاستاذ الفاضل السيد
كرم البستاني تقدمة
احترام.

احمد علي



أحمد مكي

ليلة القدر

منشورات «المكشوف»

بيروت * ١٩٣٧

منشورات المكشوف

الصبي الاعرج	لتوفيق يوسف عواد
عشر قصص	لخليل تقي الدين
عمر افندي	للطفي حيدر
قميص الصوف	لتوفيق يوسف عواد
كان ما كان	لميخائيل نعيمه

يصدر قريباً :

على المنبر	الدكتور نقولا فياض

الى

Melle Sylvie Bonnier

à Montpellier

A. MAKY

ليلة القدر

... تنزل الملائكة والروح فيها
باذن ربهم من كل امر .
... سلام هي حتى مطلع الفجر !

«القرآن الكريم»

ادراك الحقيقة الكبرى

(ساقيــة جارية . فجر ندي)

الناسك

هنا اتلو صلاتي كل فجر . هنا أسبح بآلاء ربي . هـذه ساقية جارية ، صافية كسريرة الطفل . فيهـا ارى وجهي كل يوم يتموج بتموج صفحة الماء اذ يهب النسيم !

لأغتسل !

ان اشباح الليل دنستني وهي تحف بي . هنا كوثر صافي النمير يطهرني من ادران الشياطين ، ويغسلني من اوحال الاحلام .

(يغتسل)

لك الحمد يا ربي ! ان نفسي تنتعش بين جوانحي ، وتصفق فرحا وسروراً : طائر في قفص ، شاقته مباهج الوجود ، يطير فيها طليقا . هي تلج بي جذلى ، تود الخروج من جسد وهى !

ما اغتسلت يوماً الا انبعث فيّ احساسي بالجمال . ولج بي ايمان يلهمني التسبيح ، هـذا الماء ـــ نقي صاف في الصبـاح ـــ يذيب في

ذهني الصفاء ، وفي نفسي النقاوة .

هوذا الافق بدأ يتورد : وردة ندية تقدمها الطبيعة لمبدعها تحيه شاكرة . ها هي العصافير تتعالى زقزقتها العذبة ، تفارق الاغصان ، مودعة افراخها ، لتطير في جو يمج نورا ، ويفيض وضوحا !

لله ما ابهى طلعة الشمس ! ترقص اشعتها على قمم الجبال ، وترميها على بسط السهول . لك الله ايتها الطبيعة المستيقظة . ما انقى نسماتك ، وابهى مجاليك ، واعذب اغاريدك !

(يتوجه الى السماء خاشعا)

يا بديع السموات والارض . يا نور الحياة في كل شيء . اجعل قلبي مرآة تتجلى فيهـا صورتك البهية ! املأ جوانحي بانوار الرضى وعطر كياني بطيب الطمأنينة !

لتهيمن ارادتك على نفسي . فتجعل مني بصيراً سميعا . يعي طرفا مما تضم الطبيعة . وتلك الهبة القدسية متى تجود بها علي يا رب ؟

يا جمال الطبيعة التي لا تحوي الا الجمال ، متى اراك وامتع ناظري بانوار قدسك التي انمحت امامها الظلمات الدامسة ؟

(يسجد)

(تظهر صبية في روعة فلق الصبح . عليها ثوب ابيض . ومعها اناء قرمزي شفاف . . . . . .)

الفتاة

صباح الخير يا ابتاه !

الناسك (ناهضا باضطراب)

صباح الخير يا بنية !

الفتاة (في غنج)

كيف تراني اليوم يا ابتاه ؟

الناسك (دهشا)

اليوم اراك لاول مرة يا بنيتي ؛ فمن انت ؟

الفتاة

انا ؟ تسألني من انا يا ابتاه ؟

الناسك

نعم ! من انت ؟

الفتاة

لا تسألني عن هذا ! لن تعرف من انا يا ابتاه ! لكن انظر ! الا تراني رشيقة فتانة ؟

الناسك

بوركت عافيتك ! بورك شبابك !

الفتاة (تضع الاناء على الارض)

عفواً يا ابتاه ! نسيت شيئاً : الجمال . نسيت ان تبارك جمالي . الا تراني جميلة ؟

الناسك

جميلة انت يا بنيتي . جمالك في عيني غير جمالك في عيني نفسك وعيون الناس . بورك جمالك !

الفتاة (في دعابة)

قل لي يا ابتاه ! انا جميلة كما تقول . لكن ما احلى شيء في ؟

الناسك (في سكون)

ما احلى شيء فيك ؟ انت جميلة . انني اجهل اجمل ما فيك يا بنيتي !

الفتاة (ضاحكة)

انظر الي وتمعن : هذا قوامي أليس رشيقاً ؟ ألا ترى اعتداله ونعومته ؟ وجيدي هذا أليس بديعاً؟ ألا تتمنى عناقه ؟ ووجنتاي الا

تحلو منهما القبل ؟ انظر : انهما قرمزيتان كانا أي هذا . ومقلتـاي ألا يسكر صفاؤهما ؟

لك عينان فانظر : ما احلى شيء في يا ابتاه ؟

الناسك (ذاهلا)

قوام . جيد . وجنتان . مقلتان . اي هذه المغريات احلى ؟ جميلة كلها !

يا بنية : ان احلى ما فيك خلوك ممـا يغويني ! في رعاية المولى يا صغيرة .

الفتاة (توقفه في ضراعة)

نسيت ان تباركني يا ابتاه . باركني !

(تركع امامه . يمر يديه على رأسها)

(تنهض الفتاة وقد سمعت غناء لذيذاً.
يلتفت الاثنان . يريان قطيعاً .
يظهر فتى . يرعى القطيع . يسكت
اذ يراهما . يبتعد بقطيعه . يغني
حتى يذوب الصوت . . . .)

اغنية الراعي

اغتدي كل يوم وقبلة حبيبي تزودني .
آتي الى البراري ، ارعى قطيعي ، وصورة حبيبي تدعني .
امشي على الاعشاب ، وفي اذني وقع خطوات حبيبي .
والجو عطري النفحة ، مجلو الصفحة كجبين حبيبي .
والسواقي سائلة حوالي ، والاطيار مغردة ولا تلهيني عن حبيبي .
ابحث عن حبيبي فلا اراه . يا حبيبي : ليتك الان معي !

الفتاة (ترنو الى الناسك)

أتدري يا ابتاه : لم ار قطيعاً انقى بياضاً من هذا ! فهل رأيت
انت ؟

الناسك

نعم : رأيت يا بنيتي . لكن لن تعلمي اين .

الفتاة (تبتسم في رقة)

الا تخبرني اين رأيت هذا يا ابتاه ؟

الناسك

لن يفيدك هذا شيئاً . آه ! الهيني يا صغيرة ! ارتفعت الشمس ولما آو الى غاري . استودعك الله .

الفتاة (في لهفة)

لكن يا ابتاه اين استطيع ان اراك ؟ اين تسكن يا ابتاه ؟

الناسك

انظري يا بنيتي . هناك فجوة آوي اليها . اقضي ايامي الباقية .

(يمضي الناسك في هدؤ . تتبعه الفتاة نظرات عذابا . تملأ الاناء وتختفي ....)

(عشية ضاحكة . صفاء وتألق)

الناسك (امام الغار، يطل على الوجود)

ثمرات بها اقتات . قطرات بها اروى . زهرات بها اتروح . والطبيعة تمر بي . تخلع ثوبا وتلبس آخر . تبلى اثوابها وفيها الجمال لا يبلى . كل ما فيها جميل . ولا اعجز مني متى اردت التمييز .

اذكر . كنت ارى قبحا من قبل. اما اليوم وانا في غاري هذا فقد رقت نفسي بالعزلة ، وارهف احساسي بتأمل الحسن في الطبيعة . انا اليوم لا ارى الا الجمال . الجمال انى التفت اطل علي. والطبيعة تعرضه بفنها الخلاب .

كم تساءلت وانا انظر الى الطبيعة في تعريها من عتيق ولبسها الجديد: لمَ تفعل هذا ؟ اتعنى بالوان الجمال تعرضها ؟ لمن تفعل هذا ؟ ألي انا ؟ لست انظر اليها كما ينظر غيري . ان سواي من الناس لا تزجى اليهم محاسنها . وانا امتع بكل ما تحوي من فتنة وما تبدي من حسن. لكني هنا قابع في غار مظلم تنيره شعاعات نفسي .

اذكر وقد كنت اجري مع الناس في الحياة ، اذكر اني كنت لا ارى مما تشبعت به حواشي الطبيعة من نضرة ، كنت

لا ارى من هذا شيئاً . كذلك كان غيري . فقد كانوا يمرون بكل ما يتملكني اليوم . يلتصق بي يسكرني . كانوا يمرون به كما كنت امر لا تقع عين لهم عليه بفحص ، ولا ترهف منهم اذن له باعتبار .

سدى ما تعملين ايتها الام الحنون ! ان غيري لا يحس لطافة ما تبدين . ولا يفهم سر ما تبطنين . اما انا ، انا الذي نمت في احاسيس كل شيء ، انا الذي ارتوت نفسي من كوثر الرضى ، فانا عاجز !

نفحات من الطيب اشمها تذوب قبل اجتياز غاري هذا . نغمات علوية اسمعها تخرج ممزوجة بصداها المتجاوب في الغار . وبروق لامعات تغور سنى ، وتختفي لنور الشمس ، واسعى جهدي لأري الناس ما ارى ولكني عاجز !

انا حي . وبوسعي الاستغناء عن ثمر يغذو جسمي وقطرة تندي داخلي . الا انني افعل ذلك ايتها الطبيعة خوف نقمتك !

ما هذه الالوان المتماوجة في الافق ؟

ها هي العصافير عائدة الى اعشاشها ، يسكرها صفاء الجو وينعشها امل لقاء افراخها ! هناك صفحة الساقية الارجوانية تودع الشمس في سكون . انك ، ايتها الطبيعة ، تفيضين بكل روعة . لكن من يحس جمالك ؟

(يدخل الناسك الغار في سكينة .
يوحش المكان وقد امحت اشعة
الشمس . . . .)

(يسري في الجو نغم لذيذ، يقوى
قليــلا قليــلا ، يخفت اذ تبدو
حوريتان . . . .)

الحورية الاولى

ترى ، ان هبوطنا اليوم لبشرى لاهل الارض !

الحورية الثانية

ان اهل الارض لا تسرهم هذه البشرى ! ومن يدري ، سوف لا يقدرونها قدرها . لانهم لن يحسوا نزولها !

الحورية الاولى

لم لا يحسون نزولها ؟ هي توقظ النائم من سبات عميق .

الحورية الثانية

لكنها لا تبعث الاموات !

الحورية الاولى

هنا في الغار حي يفيق على انغامها !

الحورية الثانية

من ؟ هذا الناسك ، ساكن هذا الغار ! هذا يحس نزولها ؟

الحورية الاولى

اذن ، لم اتينا؟ ألم يكن لهذا ؟ اما ارسلنا اليه نوحي بمجيئها ؟

الحورية الثانية

كيف نوحي اليه بذلك ، هو لا يرانا .

الحورية الاولى

يكفي ان يمر بيننا.

الحورية الثانية

وبعد ؟

الحورية الاولى

يستطيع بعد ذلك ان يرى .

الحورية الثانية

لم لا نظهر عليه الان ؟

الحورية الاولى

نظهر عليه بعد هذه الليلة !

الحورية الثانية

لقد ظهرت عليه واحدة منا ، كما علمت .

الحورية الاولى

ظهرت ، وتظهر بعد ارتفاعنا !

الحورية الثانية

انظري ، هذا الناسك قد خرج ، انه كالمخبول !

الحورية الاولى

مري عن يساره . وامر عن يمينه .

(تمران بالناسك : الاولى عن
يمينه،والثانية عن يساره، ينتفض
الناسك انتفاضة شديدة ، ثم
يدخل الغار . . . .)

الحورية الثانية

والان ، مررت انت عن يمينه ومررت انا عن يساره،فاسيكون؟

الحورية الاولى

سترين ذلك ، اصبري .

الحورية الثانية

متى نرتفع ؟ اطلنا المقام هنا !

الحورية الاولى

لن نرتفع حتى تأتي تلك .

(ترتفعان في جلال . . . .)

(يظهر طيف ابيض اتياً الى الغار)

الفتاة

اين انتَ يا ابتاه ؟ جئت اسليك في وحشة هذا الليل .

الناسك (خارجا بارتعاش)

من يناديني ، كأني اعرف هذا الصوت ! من هنا .

الفتاة

انا هنا يا ابتاه . ألا تراني ؟ ألا تذكر من انا ؟ كنا معاً قرب الساقية . ألا تذكر يا ابتاه ؟

الناسك

آه ! اذكر ، نعم اذكر . لكن ما اتى بك في هذا الليل .

الفتاة

اتيت اسليك يا ابتاه . ألا ترضى ؟

الناسك

متى اتيت ؟

الفتاة

اني اصل . تعبت حتى وصلت . لولا رشاقتي لعـثرت اكثر من مرة .

الناسك

خيل الي اني اسمع همساً . فمع من كنت تتكلمين ؟

الفتاة (ضاحكة)

اني اصل الان . وما تكلمت حتى ناديتك .

الناسك (في دهش)

مع ذلك سمعت اصواتاً قبل ان تنادي . انها اصوات عذبة !

الفتاة (في بشر)

كصوتي ، أليس عذبا صوتي يا ابتاه ؟

الناسك (في حيرة)

عذب صوتك يا بنيتي . لكن لم اتيت في هذا الليل ؟

الفتاة (في خفر)

اتيت اسليك يا ابتاه .

الناسك

يسأل عنك اهلك يا بنيتي .

الفتاة

ليس لي اهل يا ابتاه . يسأل عني كل الناس اذا فقدت .

الناسك

ليس لك اهل ، اين تسكنين اذن ؟

الفتاة

حيث تروق لي السكنى ، ما اطاب سكنى الا ألبى . ألا تقبلني الليلة يا ابتاه ؟

الناسك

اتظنين اني املك شيئاً حتى امنعه من الناس ؟ تستطيعين ان تبقي هنا يا بنيتي .

الفتاة

ان بقائي هنا سيكون لذيذا . سنقضي ليلة رائعة !

الناسك

من يدري ؟ تبقين هنا ام تدخلين ؟

الفتاة

بل ابقى هنا ، لنجلس .

(يجلسان . . . .)

(ظلام ، سكون ، وصفاء .
الناسك والفتاة يتأملان الكون)

الناسك (منصتا)

الا تسمعين شيئاً في هذه الهدأة ؟

الفتاة (تنصت)

لا اسمع شيئاً . ماذا تسمع انت يا ابتاه ؟

الناسك (مرهفاً سمعه)

ألا تسمعين همساً ، كأن في الجو اصواتاً ، هى اصوات عذبة !

الفتاة (مصغية)

ها ! سمعت ، اصوات عذبة على غموضها !

الناسك (دهشا)

والان ، اتسمعين شيئاً ؟ لم اعد اسمع تلك الاصوات ، ما اعمق هذا السكون !

الفتاة (ذاهلة)

سكون عميق بعد تلك الاصوات ، بماذا تشبه عمقه يا ابتاه ؟

الناسك

عميق هو كقلب المؤمن !

الفتاة

اما هو عميق ككقلب العاشق يا ابتاه ؟

الناسك

عميق كقلب المؤمن يا بنيتي .

الفتاة (في حدة رقيقة)

والعاشق يا ابتاه ، أليس العاشقَ مؤمناً ؟

الناسك (في ذهول)

ماذا تقولين يا بنيتي ؟

الفتاة

اقول ان الحب ايمان . أليس كذلك يا ابتاه ؟

الناسك (في ذهول)

اجل ، ان الحب ايمان !

الفتاة (في حياء)

قل لي يا ابتاه أما احببت ؟

الناسك (في قلق)

لم تسألين عن هذا يا بنيتي ؟

الفتاة

لم اسأل عن هذا ؟ ان طبيعتي حب يا ابتاه .

الناسك (في ذهول)

ان طبيعتك حب ! صدقت يا بنيتي .

الفتاة (في استعطاف)

اما احببت يا ابتاه ؟ حدثني عن حبك . الا تذكر عنه شيئاً ؟

الناسك (في جلال)

آه يا بنيتي ! لقد احببت... احببت حسناء ما اراك الا تذكرتها . كانت جميلة فتانة . كان صوتها ناعماً رقيقاً كصوتك . كانت تناديني باسمي .

آه ! دعيني من هذه الذكرى يا بنيتي !

الفتاة (في لهفة)

اتم حديثك يا ابتاه . ما اعذبه حديثاً يثمل جسدي فرحا !

الناسك (متابعاً)

... كان لها عينان . كنت ارى فيهما اضعاف ما ارى اليوم من جمال في رحاب هذا الوجود . كانتا ابدا الى عيني . وقوامها اللدن يتثنى بين ذراعي ، كما يتمايل الغصن الرطيب للنسمة العابرة .

الفتاة (في ابتسام ودعابة)

ألم تكن تقبلها يا ابتاه ؟

الناسك (يتابع نجواه)

... لا ازال اذكر وقوفنا على شفير واد سحيق. ننظر الى تعانق الظلال والضياء ، والى صمت ارجائه الرهيب ! التفتت الي وفي عينيها بريق باهر وقالت باسمة :

ـــ لقد بت ارقب هذه الساعة . انها تفوق كل العمر ! انها ساعة خلودي ! لو تقبلني قبلة !

وقبلتها ! وليتني ما فعلت ! فاذا بها ترتفع وترتفع حتى تغيب عن ناظري ، وافيق من دهشتي ، وانادي فلا يرد الا الصدى الصاعد من اعماق الوادي !

الفتاة (في انتباه وشوق)

ما ألذ حديثك يا ابتاه ! اما تنبأت اذ قلت : سنقضي ليلة رائعة ؟ اتم حديثك الطلي يا ابتاه !

الناسك (في نشوة سرور)

... وجاءتني في الحلم ، ضاحكة مستبشرة ، ومالت على اذني هامسة :

ـــ لا تحزن يا حبيبي ! اني احبك وساعود اليك .

قلت لها في لهفة :

ـــ لم تركتني في هذا الظلام وذهبت ؟

قالت في بشر وانطلاق :

ـــ سيغرق الظلام في لجة النور . سآتي اليك في ابهى لباس ، اذا انت لم تنسني !

قلت في دهشة :

ـــ انا انساك ؟ ابداً . لن انساك ! سارقب طول حياتي عودتك الخالدة !

ولا ازال ارقب عودتها ! ولا ادري ! فريحها تعبق الليلة في انفي وصورتها ماثلة امامي . كأن حبيبتي آتية في لباسها البهي !

ترى، يابنيتي ، اني احببت ، ومازج الحب كل ما بي !

الفتاة (ضاحكة)

أليس الحب ايماناً اذن ؟ قل لي يا ابتاه !

الناسك (كهاذٍ في غيبوبة)

اجل يا بنيتي . ان الحب ايمان !

الفتاة

الا تنظر يا ابتاه ؟ ألا ترى الظلام يتكاثف؟

الناسك (تائه البصر في الظلام)

ما اعمق الظـلام ! كأن النجوم غارت في السماء ! ان السكون رهيب هذه الليلة . لا اذكر اني رأيت ليلة كهذه في سكونها !

الفتاة (باسمة)

اما انا، يا ابتاه ، فاذكر اني عرفت سكوناً كهذا السكون،لكن

رس هنا . ان هذا السكون جديد في هذه البقعة . هو يهبط الليلة هذا المكان ، كأنه يخفي في احشائه سراً ... أتدري اين رأيت ذلك؟

الناسك (في لهفة)

اين رأيت ذلك يا بنيتي ؟

الفتاة (في دلال)

اسمع يا ابتاه . كان في يدي وردة فواحة ، انشى بعطرها ، وكنت ذاهبة الى كوخي الجميل ، اسير على عدوة الجدول لاصل اليه . وكنت لا ارفع الوردة عن انفي ، الا لانظر الى الاشجار المرصوفة على الجانبين ، كأنها اشباح مكبوحة، وكنت ارمق الهلال من يميني ، يتنزل على الافق البعيد .

وكان كل صوت هادئا ، غائصاً في لجة الليل الصامت ، وكنت ارى كل شيء ولا ارى شيئاً . كنت اسير نشوى بالشذى، نشوى بالسكون ، نشوى بما فاضت به حواشي الوجود من صفاء، فلما وصلت الى كوخي ، كوخي الصغير ، المبني على ربوة وديعة ، التفت ورائي ارى افول الهلال وتماسك الظلمات . فوقفت ارهف السمع علي اسمع شيئاً ، فلم اسمع . فاخذت الوردة بعنف ولوحت بها في الظلام، ورميتها قائلة :

ــ مهما تكن عميقاً، ايها الليل ، فان قلب من يفهمك اعمق منك !

الناسك (مشرق الوجه)

ما ألذ ما ذكرت يا بنيتي ! اقتربي مني .

الفتاة (يد الناسك على رأسها)

لكن يا ابتاه ، انظر ، ألا ترى الظلام يذوب ؟

الناسك

سرعان ما تلاشى الظلام ! ما اسرع ما ازدهت السماء ونورت !

الفتاة

ما هذا الضياء ؟ لقد شهدت في طريقي افول الهلال .

الناسك

اجل . لقد رأيت الهلال ينطفيء وانا في الغار .

الفتاة

انظر الي يا ابتاه . ألا ترى شخصي في وضوح ؟

الناسك (في اندفاع)

اجل ! اني اراك ، كما لو كانت اشعة تلفنا . نحن مع ذلك في الليل وبعيد منا مطلع الفجر . انظري، ألا ترين كل شيء جليا ؟ ها هي الجبال تلوح قممها زاهية . وهذه الاشجار ، تبدو اغصانها واضحة . وتلك صفحة الماء ألا ترين لمعانها ؟ وهذا السهل الفسيح الا ترينه ازدهى بعد ان كان غائصاً في الظلمات ؟ لكن السكون لا يزال مهيمنا

على كل شيء • لا الجبال تتنفس ولا الوادي يتأوه ! كأن ليس في الوجود الان صاح الا انت وانا يا بنيتي •

لم يعد رهيباً صمتك ايها الكون ! ان الضياء يشيع في جنباتك ويغمر كل شيء • انا نرى كل ما اخفيت عنا من ساعة بمكر • لئن كنت مظلماً شديد الظلام ، فان نفسي تتغلب على سدفك بما ينور فيها • لو كنت ظلمات ، فوقها ظلمات سرمدية ، لنفسي تحس في اعماقها كل شيء ، وترى كل شيء كما لو كانت الانوار فائضة !

لكن ألا تحسين شيئاً يا بنيتي ؟ يخيل الي ان حركات ستنفجر • انظري السماء ما ازهاها ! انظري ألا ترين ؟

الفتاة (باسمة)

اجل يا ابتاه ان السماء زاهية • لكن ألا ترى ؟ ان الاشجار لتهتز • ألا تراها تميل الى الارض في سكون ؟ ان ميلها لشديد ، تكاد تلتصق بها ! انظر ، قد استلقت على الارض : جسوم تملكها النعاس !

الناسك (في دهشة)

نامي ايتها الاشجار ، ان النوم راحة • آه ! ألا تسمعين يا بنيتي ؟ يخيل الي ان اصواتاً تدنو منا !

الفتاة (منصتة)

هذه همسات ، انها همسات عذبة !

الناسك

اجل ، كأني سمعت مثل هذه الهمسات قبلا ، لكن انظري . ألا ترين النجوم تتلألأ ؟ انها قريبة منا ، كانت منذ لحظة لا ترى . اما الان فما اقربها منا ! انظري ما ابهى هذه النجمة ! هي براقة باهرة البريق ! ألا ترين النجوم تتقارب حتى يخيل الي انها تكون شمساً كبيرة !

الفتاة

لكن الهمسات تقوى يا ابتاه ، انها انغام !

الناسك (ذاهلا)

ماذا يسري في كياني ؟ اي يد تمس كل اعضائي ؟ نفسي تكاد تطير بي . جسدي احسبه يرتفع ، آه الى اين !

الفتاة (باسمة)

ألا تسمع يا ابتاه ؟ انها انغام سماوية . اسمع يا ابتاه!

الناسك (في ارتعاش)

آه اني اسمع ، اسمع وارى ، انا اسمع وارى يا بنيتي.

الفتاة

الا ترى في السماء شيئاً يا ابتاه ؟ امعن النظر .

الناسك (في وجل)

نعم ارى ، لكن ما هذا ؟ ضباب نقي يتنزل . وعليه ماذا؟ اجسام

نورانية تغف عليه . ما اروع تلك الوجوه الصبوحة !

الفتاة (في نفور رقيق)

مالك تدنو مني هكذا يا ابتاه ؟

الناسك (في اضطراب)

عفواً يا بنيتي ! اني خائف ، اني لا اعي . ان يدا خفيه تمس كل كياني . لكن اقتربي مني يا بنيتي ، أتخافين ؟ ان قلبي لا يرعب خفقانه ، ولا تفزع اشعة عيني ، تعالي يا بنيتي، تعالي اطوقك بذراعي.

الفتاة (بين ذراعي الناسك)

أتحبني يا ابتاه ؟

الناسك (مغمض العينين)

اجل احبك يا بنيتي ، لم ادرك من انت اول الامر، فهل ادركت ذلك وقد ضممت الى صدري جسمك النوراني اللطيف ؟ من انت ايتها الحسناء التي اطوق بذراعي ؟ من انت يا ذات الوجه المعبود ؟ من انت يا من ملمسها يهز كياني ، من انت ؟

الفتاة

ابتاه ، لم تعد ترى ما حولك . ما لك مغمض العينين ؟ انظر ما حولك .

الناسك (في ذهول)

كفايتي فيك . من انت يا من ملمسها يهز كياني ، من انت ؟

الفتاة

ألا تعرف من انا يا ابتاه ؟ انظر الي جيداً .

الناسك (يتفرس فيها)

قولي لي ، من انت يا من ملمسها يهز كياني ؟

الفتاة

لن تعرف من انا يا ابتاه ...

(تختفي)

الناسك (كالمجنون)

اين انت يا بنيتي ، انا اناديك . ناديني ، اين انت ؟ اني لا اراك ، اين اختفيت ؟

(سكون رهيب)

رباه ! اين انا ؟ اكنت حالما ؟ لا ، لا ، كنت في يقظة كنت كما انا الان . اين بنيتي ؟ آه ! اني ارى كل شيء ، قلبي يسع كل شيء . لكن اين انت يا بنيتي ؟ اختفيت ! لا ، انت معي ! لئن غبت عن عياني ، لقد ذبت بقبلة في كياني .

(يذوب الضباب . تختفي الاطياف . تشرق الشمس في جلال . يخر الناسك ساجداً ....)

العاصفة

... فقام يسوع وانتهر الريح
وتموج الماء فانتهيا ، وصار
هدوء. ثم قال لهم: اين ايمانكم ؟

«انجيل لوقا»

أثر اختلاف الدين في تفريق القلوب

(ليلة قمراء ، نجوم متألقة ، نسيم
ناعم بارد. البحر منبسط في جلال.
الجبل يغسله نور البدر. شخصان
فتيان آتيان في سكون . همسات
لطيفة غامضة . . . . . .)

سلفيا

اندري ؟ ان هذا المكان بعيد عن اعين الرقباء . هنا نبقى لانخشى مباغتة عابر ، او تجسس حسود !

(تتلفت)

ها ! ما احلى ما يسر القدر . انظر ! هـذا غار نأوي اليه اذا بردنا . هذا المكان خير من الذي كنا فيه !

انظر ! امامنـا البحر ، ووراءنا البدر ، والسرور في كل مكان ، أليس كذلك يا حبيبي ؟

احليا

هو ما قلت ، اجلسي .

(يجلسان)

سلفيا

انظر صفحة الماء يا حبيبي ، انظر كيف تسيل عليها اشعة البدر . لا ادري! فاني احس ان الوجود يشاركنا في فرحتنا . الا ترى ذلك يا احليا ؟

احليا

هو لا يشاركنا يا حبيبتي ولكن نحن نشاركه . ألا ترين ان الطبيعة اذا حلت في اعين الناس وراقت ، خرج الناس الى حيث تقيم اعراسها ينتشرون ؟ نحن كذلك . ما رأينا صفاء الجو وتألق السماء حتى خرجنا ، يدك الناعمة في يدي ، الى ان وصلنا الى هنا .

سلفيا

ليت الطبيعة تبقى هادئة ، لينعم بها الناس ! الا ترى ان الجو اذا تلبد بالغيوم عابساً، عبس معه كل شيء في الحياة ، لا نخرج ولا تسري فينا رغبات الى الخروج .

آه ، كم اود ان تظل الطبيعة هادئة !

احليا

اذن قولي لها ذلك !

سلفيا (باسمة)

وهل تفهم مني .

احليا

من يدري ، قولي لها .

سلفيا

ماذا اقول ؟

احليا

قولي لها :

ـــ ايتها الطبيعة ، يا ذات القدر ، ترفقي بنا نحن الشباب ، وقفي لنا حتى نأخذ قسطنا . لا تسرعي بالذهاب واخفاء ما تبدين ، تمهلي انظري الى اجسامنا منحية تستعطفك ! رفقاً بنا ايتها الطبيعة !

سلفيا (باسمة)

لقد قلت لها انت عني . فلن اقول لها اذن.

احليا

لا ، قولي لها ، انها تفهم منك اكثر .

سلفيا

اذن ماذا اقول لها؟

احليا

ما قلت آنفاً !

سلفيا

نسيت ما قلت ، لاني كنت ارمق ظلك في نور البدر وانظر الى

اشاراتك وانت تخاطب الوجود . تالله لقد كان ظلك بديعـا ! انظر اليه . الا تراه ؟

احليا

تنظرين الى ظلي . شكراً .

سلفيا

كنت انظر الى جسمك لاقارنه بظلك ، فوجدت ان ظلك بديع ثم التفت الى جسمك فوجدته ابدع !

احليا

اود ان اصدق هذا !

سلفيا (تتكلف العبوس)

اذن ، انت لا تصدقني .

احليا

كيف ، اصدقك في كل شيء .

سلفيا

أتحسب ان الظل يغني شيئاً ؟ انت ماثل امامي في رقة وجمال ، اما الظل فعابر لا يستقر .

احليا (لنفسه)

ألسنا كذلك في الحياة ؟

(لسلفيا)

دعينا من الظلال ، والتفتي الى النجوم المشرقة علينا !

سلفيا (نظرها فى النجوم)

انظر هذه النجمة ، انها تطل علينا من نافـذتي اذ انام . انها اسطع النجوم بريقاً . أترى ، ليتها اكثر سطوعا لنرى لنا ظلا بنورها. ترى لو كانت كل هذه النجوم تعطي ظلالا اما كان الواحد منا يتمنى ان يعيش ظلا ، انه يعيش كثيراً .

احليا

لكن نسيت ان تتوجهي الى الطبيعة برجائك !

سلفيا

نسيت ! اوه ! اذكره لي .

احليا

اذكريه انت . تذكري ما سمعت !

سلفيا (متذكرة)

ايتها الطبيعة ... لا ترفقي بنا !

احليا

ماذا تقولين ؟

سلفيا

الم اقل لك اني نسيت او بالاحرى لم اسمع .

احليا

اذن ، قولي لها شيئاً من عندك .

سلفيا

وماذا اقول لها ؟

احليا

ما شئت ، قولي .

سلفيا

ايتها الطبيعة ، لا تلهينا عن احبتنا ودعينا في احضانهم ، ايرضيك قولي ؟

احليا

اجل يرضيني ، لكن ارى ان الطبيعة الهتنا عن انفسنا كما قلت . تعالي .

سلفيا

لكن بشرط .

احليا

ما هو ؟

سلفيا (في غنج)

ان تضمني اليك ، فاني احس ببرد .

احليا (فرحا)

اذن تعالي .

(يتعانقان)

هاتي يديك .

(يفركهما بحرارة)

ما هاتان اليدان اللطيفتان ؟ دعيني اقبل .

(يقبلهما . تحمر وجنتا سلفيا)

ما لوجنتيك احمرتا ، اترين ؟ ان بصري حاد . لقد رأيت في الدجى .

سلفيا (باسمة)

لا تنس ما فوقك ؟

احليا

ماذا فوقي .

(يتلفت)

لا شيء .

سلفيا

البدر . أترى ان انفسنا الهتنا عن الطبيعة .

احليا

واحدة بواحدة اذن .

سلفيا (يداها بين يدي احليا وعيناها
الى الافق . . . .)
انظر يا احليا . ارى غيوما بيضاء تنثر في السماء ، لعلهـا فراش البدر الوثير . انها ناصعة البياض كالقطن المندوف .

احليا

ليت سريرة الانسان تبقى ابداً في نقاوة هذه الغيوم .

سلفيا

كدت اقول هذا ، سبقتني اليه .

احليا

ارده اليك ، اشهدي اني لم اقله ، قوليه .

سلفيا

لا اريد ، كنت اود ان ابدهك به قبلا ، اما الان فلا !

احليا

سلفيا ، ألا ترين الغيوم ؟ يظهر انها تريد غير ما بدت به اولا . انها غطت البدر ، وقد شحبت اشعته البراقة .

سلفيا

صحيح ، يؤسفني ان ارى البدر تحجبه الغيوم !

احليا

كذلك انا ، يؤسفني ان اراه خاسفاً !

سلفيا

وان اراه ايضاً آفلا ! آه ! اني احس ببرد ، ضمني اليك .

احليا

تعالي يا حبيبتي .

(يضمها الى صدره)

سلفيا

لا يزال البرد يسري في جسمي ، ضمني بقوة !

احليا

اخاف ان اؤذيك !

سلفيا

لا تخف ، ضمني .

احليا

قومي ندخل الغار !

سلفيا

هيا !

(يدخلان الغـار في ارتعاش ،
تسمع اصواتهما من الداخل ..)

احليا

آه ! ما الذ عناقك يا حبيبتي !

سلفيا

اني مسرورة ، اني مسرورة !

(بعد منتصف الليل ينهض احليا
مضطربا ، يكاد لا يصدق ما يرى
كأنه في حلم: السماء متلبدة بالغيوم
البحر هائج ، البرق والرعد
يتلاحقان ، المطر بينهما هطال !)

احليا (مطلا من باب الغار)

عجبا ! ما هذا ؟ ما كنت احسب الطقس يتبدل بهذه السرعة ! هذا البحر الذي كان يمتد في هدوء في نور البدر ، يمتد الان في جنون في ظل الغيوم !

(تهب ريح باردة)

هذه الريح العاتية هي التي اثارت كل هذا ! اخشى ان يمنعنا المطر عن الخروج !

(يرنو الى سلفيا)

اما انت يا حبيبتي فنائمين لا تعلمين بما جرى !

(يدنو ليقبلها، يحس وقوف شعرها)

انك تبردين ولا شك يا حبيبتي . حقا ان دفقات الريح تدخل الغار بالصرير والبرد ، دونك قميصي هذا !

(يخلع قميصه ، واذ يضع القميص تبرق السماء، ويدوي رعد شديد تهب معه سلفيا مذعورة . . .)

سلفيا

ماذا جرى ؟ لعلهم قبضوا علينا ! آه يا حبيبي !

احليا

لا تخافي يا سلفيا ، لم يأت احد ، هو الرعد يلعلع في السماء ، انقلب الطقس مكفهراً بعد ان كان رائقاً .

سلفيا (ترتجف)

مالي ارتجف ؟ لعلي بردت في النوم !

احليا

البسي قميصي ، انت بحاجة الى ثياب غليظة .

سلفيا

وانت، أتبقى معرضاً للبرد؟ لا ، ابقه عليك !

احليا

البسيه ، انك ترتجفين .

(تلبس القميص)

سلفيا

كنت خائفة ، قل لي ماذا جرى ؟

احليا

لا تخافي يا حبيبتي ، أ كنت تحلمين ؟

سلفيا

اذن لم يجيء احد ؟

احليا

قلت لك : لا ، ياحبيبتي .

سلفيا

اذن كان حلما ما رأيت .

احليا

ماذا رأيت ؟

سلفيا

اخرج قليلا وانظر : هل هناك احد ؟

احليا

قلت لك : ليس هناك احد ، لا تخافي . هذه الريح تهب بعنف .

والرعد يجاجل في السماء . لم يأت احد يا سلفيا فلا تخافي .

سلفيا

اخرج وانظر .

(يخرج احليا، تبرق السماء ، فيرى البحر هائجـا تتلاطم اواذيه)

احليا (داخلا)

ها قد خرجت ، لم ار احداً . أتعرفين ، رأيت البحر هائجـاً تصطخب امواجه وتتكسر على الصخور .

سلفيا

لم كل هذا ؟ اني خائفة !

احليا

من اي شيء ؟

سلفيا

من تبدل الجو ، ترى غضب الله علينا اذ فررنا .

احليا

هل تحسبين الله يغضب لامور مثل هذه ؟

سلفيا

اذن ، لم الهياج في كل شيء ؟

احليا

من يدري ؟ لعل ذلك لاختبارنا !

سلفيا

يمكن ، لكن اخاف !

احليا

ترين ، لم الخوف ؟ ان السماء تكف قريباً عن المطر ، ويقر البحر مكانه في خضوع ، لا تخافي .

(تهب ريح عنيفة، تدحرج صخراً كبيراً يهوي الى البحر في قرقعة شديدة ....)

سلفيا

آه! هيا بنا ! اخشى ان يهدم الغار علينا ! هيا بنا !

احليا

تجلدي يا سلفيا ، ارى ان الحلم أثر فيك كثيراً ، اسمعي ها قد هدأت الريح قليلا ، وانقطع المطر ، وخفت هدير البحر ، لا تخافي اذن ، قريباً يهدأ كل شيء ، قولي لي الان ما رأيت ؟

سلفيا (في قليل من الاطمئنان)

انذكر يوم وقفنا نطل على الوادي ؟ انذكر كم كان عميقاً ؟ انذكر ان ظلينا كانا لا يُريان الا قليلا ؟ لقد رأيت الوادي مظلماً ، شديد الظلام ، حتى ليدور رأس الناظر فيه لعمقه وظلامه . كنت

واقفة هناك انتظرك . فرأيتك آتياً في رقيق النور . فما ان وصلت حتى ملنا على بعضنا نتعانق . فما شعرنا الا ويد قوية تفصلنا ، وصوت عظيم يهيب بنا :

ــ ماذا تفعلان هنا ؟

قلت انت له :

ــ ما الذي ترى !

فاجابك بشدة :

ــ حاذر مرة ثانية ان تجتمع بهذه هنا !

فاجبت انت :

ــ لكني لا استطيع ان اجتمع بها الا هنا !

صرخ بك شديداً :

ــ اذا انت عدت الى هنا ومعك هذه الفتاة ، فاني القي بكما في هذا الوادي السحيق . افهمت ؟

ثم رفع كلانا بيد واهوى بنا الى الوادي. وقبل ان يفلتنا صحوت فرأيتك قائماً فوق رأسي . ماذا ترى؟

احليا

اضغاث احلام ! ان الانسان اذا اراد ان يفسر احلامه ويجد لكل هواجسه تأويلا ، عاش كالقشة الطائرة على متن الريح !

سلفيا (في رعشة)

اسمع ! لقد عادت الامواج الى اصطخابها ، وراجعت الريح ولولتها ، وتلاحق البرق والرعد ، وتقاطرت الغيوم على الارض : آه يارب ! ماذا تفعل ؟ ابعيد منا مطلع الفجر ؟

احليا

لا تخافي . ان الفجر قريب .

سلفيا

يخيل الي انا لن نرى الشمس طالعة ! ما للسواد يتكاثف ؟

احليا

هو كذلك قبل بزوغ الفجر !

سلفيا

رباه ، عجل بالنهار ! ترى لو اقمنا هنيهة نصلي لربنا الا يرق لحالنا ، فيهدىء العاصفة لنا ؟

احليا

كذلك الانسان لا يذكر ربه الا عند حاجة !

سلفيا

مع اني لم انسه في حياتي . الست استرشد به في كل شيء ؟ الا استفتح كل شيء باسمه ؟

احليا

انت اذن تفعلين هذا ! ما كنت لتفعلينه قبلا !

سلفيا

انت تظلمني يا حبيبي . الا اصلي اذن ؟

احليا

لماذا ؟ صلي واني اصلي معك .

(يصليـان ، كل في نفسـه ،
صـلاة حارة . . . .)

(تزداد الطبيعة هياجاً وثورة)

سلفيا (في خوف)

آه ! انظر . هذا رشاش الموج يسف وجهينا . ماذا نفعل ؟

احليا

لا شيء سوى الانتظار .

سلفيا

لكن الانتظار صعب .

احليا

ليسهله الانسان اذا لم يكن منه بد . انظري الا ترين الاشياء بدأت تظهر قليلا ؟

سلفيا

صحيح ! اذن ستطلع الشمس !

احليا

لكن تظل كانها ليست طالعة !

سلفيا

لماذا ؟

احليا

لان الغيوم قائمة في وجهها !

سلفيا (في لهفة)

لكنا نريد ان نخرج من هنا ، ان نترك هذا الغار !

احليا

اصبري !

سلفيا

اني خائفة ! ترى اذا دروا بنا ماذا يفعلون ؟

احليا

لا ادري ! هل يفعلون اكثر مما فعلوا ؟

سلفيا

وماذا فعلوا ؟

احليا

حجبوك عني . مع ذلك تمكنت من رؤيتك !

سلفيا

واذا ابعدوني ماذا تفعل ؟

احليا

اسعى وراءك . ثم اذكرك حتى تعودي الي !

سلفيا

واذا لم اعد ؟

احليا

لم هذا السوآل ؟

سلفيا

لا لشيء . ماذا تجيب ؟

احليا

تسود الحياة في عيني .

سلفيا

لا لا ! اعود اليك يا حبيبي ولو اقاموا بيننا سدوداً !

احليا (ناظراً الى الافق)

انظري . الا ترين هناك شيئا ؟

سلفيا

ارى . لكن ما هذا ؟

احليا

احسب ان هذا مركب تتلاعب به الامواج !

سلفيا

الا يمكن ان يكونوا هم فيه ؟

احليا

ومن انبأهم انا هنا ؟

سلفيا

لقد سمعتك الخادمة عندما قلت لي :

— هيا الى شاطيء البحر .

فلعلها اخبرتهم فاتوا يبحثون عنا هنا !

احليا

وهل يستطيعون ان يصلوا الينا ؟

سلفيا

من يدري ؟ الا ترى ان وجهة المركب الينا ؟

احليا

انظري . قد اداروه جهة الشاطيء .

سلفيا

اذن نجونا منهم !

احليا

والحمد لله .

(يهيج البحر كالمجنون)

(تتدافع امواج البحر الى الغار)

سلفيا

متى يا رب تنتهي هذه العاصفة ؟

احليا

حتى تمس وهناً في اعضائها !

سلفيا

متى يكون ذلك ؟

احليا

الله اعلم !

سلفيا

اتري ؟ هذا سرب من الطيور قادم الينـا . ترى ايكون طليعة خير ؟

احليا

اظن ذلك . هو سرب حمام . انتظري حتى نرى .

سلفيا

انه دنا ! لعله لم يجد صخرة يستقر عليها او غارا يأوي اليه . في

هذه العاصفة !

احليا

كما قلت يا سلفيا .

(تصل اولى الحمائم الى الغار .
تجفل اذ ترى سلفيا واحليا .
ترتد هاربة فيلحق بها السرب)

سلفيا

ارأيت ؟ لقد اجفلت الحمائم منا !

احليا

مع انا آمن جانبا من غيرنا واحنى عليها .

سلفيا

هل تعرف هي دخائل النفوس ؟

احليا

ان الانسان يجهلها فكيف تعرفها الحمائم ؟

سلفيا

ترى لو دخلت الحمائم ، أما كنا نأنس بهديلها ؟

احليا

لكن ماذا تريدين ، هي تحسب الناس سواء . هي لم تألف من

الانسان رقة الملامسة . فكيف لا تحسبنا نريد بها اذى؟

سلفيا

انظر . غاصت اقدامنا في الماء .

احليا

تعالي احملك على كتفي .

سلفيا   (نافرة)

لا ! دعني هنا .

احليا

اخاف عليك .

سلفيا

لا تخف . اني استعدت شجاعتي .

احليا

الا تعرفين السباحة يا سلفيا ؟

سلفيا

قليلا . وانت الا تعرفها ؟

احليا

قليلا . مثلك يا سلفيا .

سلفيا

لكني اسبح جيدا اذا اقتضى الامر .

احليا

كيف ذلك ؟

سلفيا

اتعجب ؟ لا تعجب . انك معي !

احليا

وانا اسبح جيدا .

سلفيا (في رقة)

ألأني معك ؟

احليا

نعم ! لانك معي يا سلفيا !

(يضحكان في مرارة)

(تدخل الغار موجة كبيرة
فتغمره . يغوص الاثنان في الماء)

احليا (وهو في الماء)

اين انت يا حبيبتي ؟ تعالي .

سلفيا (بعيدة عنه)

سآتي . ابق مكانك .

احليا

الا آتي اساعدك ؟

سلفيا

لا ، ابق مكانك . وانا آتي اليك.

احليا

اسرعي اذن .

(لنفسه)

لقد وقع ما كنت اخشاه ! هذا البحر الجبار يغمرنا في قوة ! اخاف ان يبتلعنا منفصلين !

(لسلفيا)

اين انت يا سلفيا ؟ اسرعي .

سلفيا

اني مسرعة ... انظر .

(يتعالى رعد يضيع معه صوت سلفيا . . . .)

احليا (في فزع)

اين انت ؟ اجيبي !

سلفيا (في صوت ضعيف)

هنا . لا تخف . هنا .

احليا

آه . اين انت ؟

(يتلفت . يرى سلفيا خارج الغار . . . .)

سلفيا

وداعا يا حبيبي !

احليا (كالمجنون)

آه ! في البحر . هذا الذي فصلنا ليبتلعنا ! لا ! ايها البحر ، انت اعجز من ذلك . لن تفصلنا ..

(يندفع وراء سلفيا . يتخبط في الامواج . . . .)

السراب

باطل الاباطيل . الكل باطل !
ما الفائدة للانسان من كل
تعبه الذى يتعبه تحت الشمس ؟
دور يمضى ودور يجىء .
والارض قائمة الى الابد !

« مزامير »

قافلة الحيـاة في سيرها نحو السعـادة

(قهقهات رنانة في الجو . اصيل
احمر دام . طائفان . . . . .)

الطائف الاول

عجبا ! ما لك تضحك ؟

الطائف الثاني

مالي اضحك ؟ تسألني كأنك لا ترى !

الطائف الاول

اي شيء ارى ؟ اترى انت شيئا لا اراه انا ؟

الطائف الثاني

اذن التفت يمينا وانظر .

(يلتفت الاول فيرى قافلة آتية
في بطء على ما تبذل من جهد)

الطائف الاول

آه ! ما هذا ؟

الطائف الثاني

قل لي الان : اكنت ترى هذا قبلا ؟

الطائف الاول

لم اكن اراه . من اين نبت هذا الجمع ؟

الطائف الثاني (ساخرا)

انت لا تفهم شيئاً كما ارى . الم يأتك نبأُ العطاش ؟

الطائف الاول (في دهشة)

العطاش ؟ من هم هؤلاء العطاش ؟ لاي شيء هم عطاش ؟

الطائف الثاني

الم اقل لك انك لا تفهم ؟ اصبر . سوف تفهم .

الطائف الاول (في حيرة)

حقاً لا افهم ما ارى . ابن لي .

الطائف الثاني

اما انا فقد راقبت من امد طويل سير هذه القوافل . اترى هذه القافلة القادمة ؟ انظرها جيداً . هاها هه !

الطائف الاول

عدت الى الضحك ؟ لم تضحك ؟

الطائف الثاني

الا يضحك مرآى هذه القافلة ؟ الا يضحك هذا القطيع الشارد؟ الا يضحك قطيع غاب راعيه ؟ انا اضحك لهذا .

الطائف الاول

اما انا فلا افهم سبب الضحك !

الطـائف الثاني

انهم حيارى ! ألا يضحك منظر الحائر ؟ هو لا يعلم ما يفعـل ! هم كذلك لا يعلمون ما يفعلون ! اتعلم الى اين ذاهبون ؟ اعتقد جيداً انك لا تعـلم ! اذن اقول لك انهم يريدون النهر ! هم عطاش . لذلك يريدون بلوغ النهر ! اتعرف اي نهر ؟ هذا الذي يـلوح في الافق ! هم يريدون ان يغرفوا من مائه ما يروي غلتهم ! لكن لن يصلوا اليه . هو قريب منهم ، لكن عيونهم لا تراه ، مساكين !

الطائف الاول

لئن تقول هذا افضل من ان تضحك ساخراً ! لكن قـل لي : لم لا يدو كون النهر وهم سائرون اليه ؟ انظر، هم يستعدون للترامي على حافته ، يغطون وجوههم في صفحته .

الطائف الثاني

اصبت ! لكن انظر . ألا ترى الشمس تنحدر لتغيب ؟ ألا تمس

الظلام يقوى ؟ ان نور الشمس اذا اختفى ، اختفى معه بريق الماء . يذوب النور فيختفي البريق . لا النهر يلوح في الليل بلمعانه ، ولا هم يجسرون ان يتخطوا حدودهم في الظلام .

الطائف الاول

لم لا ينتظرون البدر ؟ البدر يشع على الماء فيلمع !

الطائف الثاني

البدر ؟ اصبت ! لكن الا تراهم ترنحوا نعاساً ؟ لا تغيب الشمس حتى يترامو ا في سبات عميق !

الطائف الاول

مساكين ! انظر ، لا ترى الا وجوها الى السماء واشداقا مفتوحة !

الطائف الثاني

هم يظنون ندى الليل يبل افواههم ! او يحسبون غيوم السماء تعطف عليهم فتتقاطر على اجسامهم المحروقة ! لو ترى عيونهم في جحوظها تفزع لمرآها ! لا ادري ما الذي يدفع بهم الى سلوك هذا الطريق ، وهم لو تريثوا الوصلوا الى ما ارادوا ولكن في حياة ثانية !

الطائف الاول

ليتنا ندنو منهم لنرى بجلاء !

الطائف الثاني

ندنو منهم ! لا نستطيع ، هيا بنا نحلق فوقهم ، سترى عيونهم

لماعة في الغلس كعيون الوحوش .

الطائف الاول

هيا بنا !

(يغور الطائفان في جوف الليل)

(بكرة طرية وضيئة ، كتلة
سوداء تلوح بعيداً ، همسات
في الجو . . . .)

الطائف الاول

ما لك توقفت هنا ؟ هيا بنا !

الطائف الثاني

الا تود رؤية هذه القافلة ؟ رأيت قافلة الامس في المساء، واليوم تشاهد الثانية في الصباح .

الطائف الاول

دعني من هذا، ان نفسي حزينة مما رأيت ، اتود ان ترهقني حزناً اليوم ؟

الطائف الثاني

تحزن ؟ ما اغرب طبعك ! هل لنا الا ان نشاهد هؤلاء الناس فنضحك عليهم ؟

الطائف الاول

انني لا اقدر ان اضحك في كل وقت .

الطائف الثاني

كأني بك تريد ان تغير طبيعتك !

الطائف الاول

دعني من كل هذا ! هيا بنا الى ناحية اخرى !

الطائف الثاني

اتدري ؟ رأيت البارحة القافلة بمجموعها، وسترى اليوم فلول هذه القافلة . ان أثر الكل اقوى من أثر الجزء ، فلا تحزن !

الطائف الاول

آلمتني رؤية تلك الاشلاء المطروحة على بساط الصحراء ، ما كان اروعه منظراً منظرها وقد أطل القمر في جلال وكآبة يصب شعاعات حزينة ! كنت ترى رأساً يغمره التراب ، وجسداً منتفخاً ، وعيناً اطفأها الظمأ ، ويداً متشنجة تشهد الوجود على انها ذهبت ضحية ! اروع منظر ، منظر تلك الفتاة متعلقة بقدمي حبيبها ترجو منه غوثاً ، حبيبها غارق في التراب وهي تنهشها الضباع . اما طيور السماء فما كانت لتغط الا على جسد ناعم . كانت تبحث عن اشلاء الصغار تلتذ بلحومها الطرية . اما انت فكنت تتلهى بالصفير تحفل به الطيور المحومة .

سر بنا ، اترك هؤلاء الناس ، أوه !

الطائف الثاني

تتأوه ! ما لك ؟

الطائف الاول

وددت لو هديت هذه القافلة ! انظر انها تميل يميناً ، وغايتها الى اليسار .

الطائف الثاني

اتريد ان تهديهم ؟ ألا ترى دليلهم !

الطائف الاول

انه هو الذي يضلهم ! بئس الدليل اذا جهل الطريق !

الطائف الثاني

لو درى بك الدليل لاضمر لك الشر .

الطائف الاول

ترى ماذا يهمني ؟

الطائف الثاني

دلهم اذن على الطريق !

الطائف الاول

حاذر يا رجل ! سر الى اليسار !

الطائف الثاني (ساخراً)

ها ها هه ! أتحسب انه سمعك ؟ ان انتما من بعضكما !

الطائف الاول

آه ! غاب عن ذهني ، لكن انظر ، انه ينشط في السير ! وددت لو اني معهم او انهم معي !

الطائف الثاني

أتظن ان الحالة تبقى كما هي الان ؟

الطائف الاول

من يدري ؟ ان اشد الالم على النفس ان تريد هدى نفس اخرى وتغرق هذه في الضلال ! اني اتألم من منظر هؤلاء ، سر بنا ، او ابق وحدك !

الطائف الثاني

تنح قليلا حتى تمر القافلة ، وسر نشاهد فلولها !

(تمر القافلة في جلبة تصم الاذان تلوح خلفها بقايا .....)

(يمر اب ، يجر اولاده الثلاثة)

الطائف الاول

انظر هذا المجنون ، ان اولاده معه .

الطائف الثاني

لا تقل مجنون ، أتدري ما حمله على هذا ؟

الطائف الاول

سراب خداع ، لا شيء غير هذا .

الطائف الثاني

انه دنا ، اصغ !

الاب

هيا يا صغاري ، هيا !

الولد الاوسط

الى اين ذاهبون نحن يا ابتاه ؟

الاب

الى مكان كله جمال وخيرات .

الولد الكبير

الا يزال بعيداً هذا المكان يا ابتاه ؟

الاب

لا يا بني ، انه قريب ، نصل اليه قبل الغروب .

الولد الاوسط

وهل لنا هناك بيت ننام فيه يا ابتاه ؟

الاب

نبني لنا بيتاً لدى وصولنا يا بني !

الولد الكبير

انبنيه في الليل ؟ ان الوحوش هنا كثيرة واخاف ان تفترسنا !

الولد الاوسط

نعم يا ابي ، اخاف ان يأكلنا الذئب ، هذا الذي قالت لي امي يوما انه يسكن في الصحراء وتلمع عيناه في الليل! ألا يأكلنا الذئب يا ابتاه؟

الاب

لا تخافا، ياولدي ، فانا معكما !

الولد الصغير

هل هناك ماء يا ابتاه ؟ ان ريقي جف .

الولد الاوسط

وانا ايضاً يا ابتاه . أعذب ماء ذاك المكان ؟

الولد الكبير

ايوجد هناك ماء كثير يكفينا ، لاني انا الاخر ظمآن .

الاب (في حيرة)

نعم، يا اولادي ، هناك ماء غزير عذب وسنشرب لدى وصولنا !

الولد الصغير

الا يحسن بنا ان نرجع يا ابتاه ؟ ففي بيتنا ماء كثير ، وفواكه لذيذة . وهناك فوق ضريح امي حورة وصفصافة تفيأ ظلالها افضل من ان نمشي هنا في الصحراء تحرق اقدامنا ، وتلفح الشمس وجوهنا هيا بنا لنرجع يا ابتاه !

الولد الاوسط

هيا بنا لنرجع يا ابتاه ، اني اخاف من الذئب !

الولد الكبير

اذن لنرجع يا ابتاه ، طالما ان المكان بعيد !

الاب

لا يا بني انه قريب ، سوف لا نرى الذئب ، وسنجد ماء صافيا .

الولد الصغير

اما انا فاني تعبت ولا استطيع السير في هـذا الحر . الا ترى

الشمس عتدلت في السماء وصبت اشعتها الحامية ؟ لا استطيع المشي دعوني هنا واذهبوا .

الاب

تعال يا بني ، تشجع . تعال احملك على كتفي .

(يرفعه فوق كتفيه)

الاثنان

ونحن تعبنا يا ابانا !

الاب

ما معنى هذا ؟ ماذا تريدان ؟

الولد الاوسط

المس رأسي تجده كالنار ! لا استطيع .

الولد الكبير

وانا احس بدوار في رأسي ! لعل ضربة شمس اصابتني !

الاب

انظروا هناك ، ألا ترون طيف الماء ؟ لقد وصلنا !

الولد الاوسط

والله يا ابي ارى هذا الطيف من امد ! وهو لا يزال مكانه وتمتد تحتنا الصحراء ! هيا بنا نرجع !

الولد الكبير

ألا يكون افضل لو رجعنا ؟

الاب

وهل انا مجنون لارجع بعد ان كدت اصل ؟ هيا يا اولادي !

الولد الاوسط

لا اقدر !

الولد الكبير

وانا ايضاً !

الاب (للصغير)

انزل انت.

(ينزله)

(للجميع)

سيروا جميعاً !

الثلاثة

لا نستطيع !

الاب

اذن ابقوا هنا ! لولاكم لوصلت . انا ذاهب !

(يمضي مسرعا)

الولد الصغير

ابتاه ، ابتاه ، قف ، انتظرني !

(يلحق به ولداه)

الولد الاوسط

ابتاه ! اتتركنا هنا ؟ ماذا نفعل اذا اتى الذئب ؟

الولد الكبير

انبقى هنا ؟ لا نجسر ان نعود ولا ان نتقدم؟ابتاه، اصبر، سآتي معك .

الولد الاوسط

وانا أيضاً اصبر .

(يعودان ، يسمع صوت الصغير مخنوقا بالعبرات . . . . .)

الولد الصغير

قف يا ابتاه ، قف قليلا ، اني اموت عطشاً ، آه يا رب .

(يختفي الجميع ،تذوب الاصوات)

(همسات في الجو، وهج في الارض)

الطائف الاول

لعلك مسرور بهذا !

الطائف الثاني

وانت ألست كذلك ؟

الطائف الاول

ما اقساك ! هيا بنا !

الطائف الثاني

تريث قليلا !

الطائف الاول

انا لا اطيق هذا ! ارى العذاب يحل بالناس ولا اخفف بلواهم ، هذا اشد ما اتعذب به .

الطائف الثاني

دعك من هذا .

الطائف الاول

سر بنا ، او اسير وحدي .

الطائف الثاني

اصبر ، الا ترى ؟ شيء جديد ، تمتع الطرف برؤيته .

الطائف الاول

ما هذا ؟ آه !

الطائف الثاني

اترى ، هؤلاء صبية يجرون امهم ، سنرى ما بهم .

(ام يجرها صبيتها ، هي تمانع ،
لكن تجاربهم خوف ايلامهم)

الصبية جميعاً

اسرعي يا امنا اسرعي !

الولد الكبير

أنظل متأخرين ؟ لولاك لكنا في الطليعة !

الام

ابقوا هنا يا اولادي ، لا تذهبوا بعيداً في الصحراء . انها واسعة وبوسعها ان تضم الملايين !

الولد الكبير

انها تضم الاموات ، لا الاحياء يا اماه !

الام

طبعاً يا بني ، لكن قلبي يحدثني !

الولد الكبير

كذلك قلب النساء ، اسرعي ، لقد سمعت ابي في حياته يقول

هذا ، اسرعي !

الولد الصغير

اماه ! لا اطيق الصبر ، صبرت كثيراً ، اني عطشت فاسقيني .

الام

من اين اسقيك يا بني ؟ ليس معي ماء ، اصبر ، سنصل الى النهر .

الولد الصغير

لكني عطشان ، عطشان ، اسقيني .

الام

رباه ! ماذا افعل ؟ اما قلت لكم يا اولادي ابقوا هناك؟ انتم دائما هكذا : لا تطيعون لي امراً ، كأني لست امكم . اين مضى ابوكم وتركني ؟

الولد الصغير

اماه ! اسقيني .

الام

تعال يا ولدي ، خذ ثديي وارضع !

(تكشف له عن ثدييها ، يمتص الولد الثدي . . . .)

(تخاطب نفسها)

ترى، ايدر له الثدي ؟ أتشفق علينا يا رب ؟

الولد الصغير (في حدة)

ماذا تريدين ان ارضع يا اماه ؟ ليس في ثديك لبن ، عطشان !

الام (باكية)

ماذا افعل يا بني ؟

الولد الصغير

اماه ، عطشان ، عطشان ، اسقيني !

الام (في نشيج)

انتم يا اولادي ، ليسرع احدكم الى البيت ويأت بكوز ماء !

الولد الكبير

اصبر يا اخي ، كلنا عطاش ، اصبر !

الولد الصغير

عطشان ، آه !

الام (تخاطب الكبير)

اذهب يا بني وآتني بكوز ماء .

الولد الكبير

انا ؟ لا اروح .

الام (تخاطب الثاني)

اذهب انت اذن يا حبيبي !

الثاني

لا والله ! لا اخطو خطوة !

الام (تخاطب الثالث حزينة)

طيب ، اذهب انت .

الثالث

انا لا اجسر ان اروح !

البنت

انا اروح يا اماه !

الام

انت تروحين ؟ لا ! تذهب البنت وتبقون انتم يا ملاعين !

الولد الصغير

عطشان ، عطشان .

البنت

قلت لك : انا اروح يا اماه ، دليني على الطريق .

الام

انت ؟ وحدك ؟ يا ويلتاه !

البنت (في انطلاق)

لا بأس يا اماه ، نحن في النهار !

الولد الصغير (في ضعف)

اسقوني ، اسقوني !

الام

اذن ، اذهبي يا بنيتي .

البنت

من اين اروح ؟

الام

من هذه الطريق ، انها اقرب ، لكن اسرعي !

البنت

انا ذاهبة يا اماه بكل سرور ، وداعا !

(تنطلق مسرعة فتختفي بين امواج الرمال . . . .)

الولد الكبير

اسرعي يا اماه ! ألا ترين انا تأخرنا ؟ لقد رأيت ابناء جارنا خلف هذه الهضبة البعيدة من مدة .

الثاني

نعم اسرعي يا اماه !

الام

الا تريان اخاكما ؟ آه ! ماله ؟

(تخاطبه وقد جحظت عيناه)

مالك ياحبيبي ؟ اصبر ،ذهبت اختك لتأتي بالماء . الان تجيء ،اصبر .

الولد الصغير (في صوت خافت)

عطشان !

الام

سلمت يا حبيبي ، ستأتي اختك بالماء ، ستشرب .

الولد الصغير

اماه ! عطشان ، آه !

(يلفظ الروح)

الام (تجس الصغير)

اتسمعني يا حبيبي ، انا امك . لماذا لا تجيب ؟ انت عطشان !

(تتلفت حولها كالمسلوبة)

ألم تأت اختكم ؟ لقد ذهبت تجلب المساء ، ألم تأت ؟ لكن انت يا صغيري ، انت تنتظر الماء ،اختك لم تجيء . لا ، لا ، جاءت ، ها هي . اقتربي من اخيك واسقيه ، الا ترتوي ؟ اجبني ، انت ميت ! لم لم تصل اختك قبل ان تموت ؟ آه !

(تحنو على الصغير)

يا حبيبي ! ألا تشرب ؟ هذا دمي يرويك !

(تستوي قائمة)

ايتها الصحراء لست شيئاً ! انت المترامية الاطراف انت الواسعة، انت التي تتململين في وهج الشمس ، انت الكبيرة ، انت خالية من قطرة ابل بها ريق ابني العطشان !

(تخاطب اولادها)

اخوكم عطشان ! اتسمعون ؟ يريد ان يشرب ، آه ، نسيت ! تريدون ان تسرعوا ، ها ها ، اسرعوا .

(تخلع نعلها . تلقي نظرات ضائعة الى كل مكان . تعدو . يعدو خلفها اولادها . . . . .)

الام

انت عطشان يابني ، انا اسقيك ، اسرعوا يا اولادي .

الاولاد

يا فرحتنا ، سنصل قبل ابناء جارنا .

(تغور الاصوات، كما تغور الاشخاص)

(همهمة خفيفة)

الطائف الاول

والان أأرضاك كل هذا ؟

الطائف الثاني

انا اولى بطرح السؤال عليك !

الطائف الاول

اتعلم ان هؤلاء الصبية كانوا قساة ؟ وتلك الفتاة، ما ترى حل بها؟

الطائف الثاني

ما يحل برائد الصحراء .

الطائف الاول

ما اتعس هذا !

الطائف الثاني

اوه ، انظر ، هذا منظر جميل ، منظر عاشقين ، اترى ؟

الطائف الاول

دعني من العشق والعشاق .

الطائف الثاني

لم اذن ؟ ان العشق ألذ ما في الحياة .

الطائف الاول

ابدا ، انه عذاب فوق عذاب .

الطائف الثاني

على طريقتك الفلسفية طبعاً ، ان الفرد اذا تناول الحب وناوله ولم يحاول ان يزحزحه عن موضعه ارتاح وسعد ، اما اذا كان يريد ان يحمله ما لا طاقة له به ، فلا هو يرتاح ولا الحب يبقى حبا ، انظر هذين العاشقين ، ما ترى فيهما ؟

الطائف الاول

ارى انهما مجنونان ، كان الاجدر بهما ان يبحثا عن خلوة اجمل وآمن من هذه .

الطائف الثاني

او تحسب انهما يريدان خلوة ؟ لا ، انهما سائران كما سار غيرهما ، اسكت ، ها هما .

(تدخل فتاة حلوة ، تتوثب الما
ودلالا ، يرافقها فتى وسيم الطلعة)

الفتاة

اف ، ها ، ما اشد حرارة التراب ! لقد احترقت قدماي !

الفتى

الم اقل لك ستحتاجين الى نعليك في الطريق فابيت الا خلعها ، فاضطررت الى خلع نعلي اقتداء بك !

الفتاة

وهل كنت اظن اني سامر فوق ارض ملتهبة مثل هذه ؟

الفتى

كيف اذن تكون ارض الصحراء في وهج الشمس ؟

الفتاة

سامحني ، سأتحمل الحر في سبيلك يا حبيبي !

الفتى

وهل تحسبين اني لا اتألم انا ؟ اني اتألم ألمين : الحر يحرق قدمي وعذابك يعذب نفسي •

الفتاة

لا بأس يا حبيبي ، ساتحمل ، لكن ، آه رجلي !

(يلتفتان الى رجلها ، فاذا بها دامية غرست فيها شوكة حادة)

الفتى (نازعا الشوكة)

ألم اقل لك سيري على مهل ، فابيت الا الاسراع والتوثب !

الفتاة (باكية)

وهل كنت ادري اني ساصاب بكل هذا ؟

الفتى

انت لا تقدرين على السير بعد هذا . آه ، أتدرين ؟ كان ينبغي ان نسرع فان القافلة سبقتنا بمراحل عديدة ! اصبري قليلا ! انظري هذا الكثيب ، سامضي ابحث خلفه عن جلد حيوان تنتعلينه ، اصبري.

الفتاة

لا تعذب نفسك يا حبيبي ، ساعتمد على ذراعك واسير معك !

الفتى

لا ، اياك ! اذا فعلت هذا فقد يلحق بك اذى : اصبري لعلي اجد لك جلدا ، كنت اود لو احملك على ظهري ، لكن الشوط بعيد ،

والحر شديد ، انا ذاهب .

الفتاة

لا تتوان يا حبيبي لئلا نترك وحدنا في الصحراء !

الفتى

ارجع حالا ، لحظة !

(يمضي الفتى ، تجلس الفتاة وتستر رأسها بثوبها . . . .)

الفتاة (تخاطب نفسها)

آه ، يا حبيبي ، حقاً انك تتعب في سبيلي ! لا ازال اذكر يوم عرضت حياتك للخطر من اجلي . كنا يومئذ في بستان : البستان الذي تفتح فيه حبنا كما تتفتح فيه الازهار . كان الوقت ضحى. وكنا جالسين في ظل شجرة التفاح ، نتأمل جمال الاثمار وحسن تكوينها. كان الجدول يمر قريباً ، مرسلا خريره العذب الممزوج بزقزقة العصافير في جنبات البستان .

كنت يومئذ كالمجنونة ، كنت اريد عصر حبيبي لاشربه شرابا مسكراً . كنت انظر اليه في نشوة واحتك بجسده القوي واضمه الى صدري ، اغمره قبلا .

اما حبيبي فكان مثلي ، عيناه كانتا تلمعان حتى اني خفت منهما قليلا ! كان يشدني ، يدغدغني ، حتى تمنيت ان اراه يتمتع بمضغ

لحمي ! سمعت قلبه يدق عنيفاً فقلت له :

ــ اتدري يا حبيبي ؟

التفت الي دهشاً وقال :

ــ ماذا بك ، أبك شيء ؟

قلت له باسمة :

ــ لا يا حبيبي ! سوى ان اقول : ان قلبك يدق بعنف،يقر لي بحبك .

ابتسم وقال :

ــ لو لم تقولي هذا لقلته لك ، اذن صدقي اني احبك .

قلت له في دلال :

ــ وهل اشك فيه ؟ ابدا .

وملنا على بعضنا ، اعصره ويعصرني ، اقبلهويقبلني وكلانا مأخوذ باللذة . كنت حقاً مسرورة ، لم اذق سروراً كذاك السرور ولن يكون سرور اعظم منه الا سرورنا حين نصل الى النهر ونرتوي من مائه .

اما حبيبي الذي مضى الان يضرب في الارض يأتي لي بما انتعله . حبيبي هذا عرض نفسه في ذلك اليوم للموت دفاعا عني . ما ان انفصلت عنه حتى رأيت ثعباناً اسود يفح قادما الي ! وقف على ذنبه وهم بلسعي لولا ان هجم عليه حبيبي وامسك برأسه وخنقه . انجاني

من الموت يومئذ وها هو الان يتحمل في سبيلي العذاب ويمضي يبحث لي عن جلد .

لكن ماله لم يجيء ؟ ارى انه تأخر .

(تنهض مستوية على قدميها، تتلوى
من الحر فتجلس . . . . .)

ان الكثيب قريب ، مدى رمية حجر . ما له تأخر ؟ لعله لم يجد لي جلدا هناك فراح يبحث في مكان ابعد . لا ادري ، ترى أأصابه اذى ؟

(تتحامل على نفسها و تمضي الى
الكثيب تدور حوله فلا ترى احدا)

الفتاة (تنادي)

اين انت يا حبيبي ؟

(لا تسمع جوابا، تصعد الكثيب
وتجيل الطرف في كل الجهات
فترى الفتى بعيداً . . . . .)

الفتاة

تعال يا حبيبي ! لا تبحث لي بعد عن جلد ، تعال .

(يلتفت الفتى، يراها يولي هاربا)

الى اين ذهبت ؟ قف لي وآتي اليك ، انك تعدو هربا مني ! اتتركني وحيدة في هذا الخلاء الموحش ؟ من لي سواك ؟ آه يا تعس طالعي !

(تجهش باكية ، تصرخ صرخة قوية
تلقي بنفسها من على الكثيب ،
تتدحرج حتى تصل الى الارض
مغمى عليها ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠)

(يأتي رجل على ناقة يرافقه راجل)

الراجل

اتدري ان المسافة التي قطعناها لا تعد شيئاً بالنسبة لما سنقطع ؟

الراكب

ماذا يهم ؟ انت صبور كما قلت ، وانا صبور والناقة مثلنا ، كلانا يتحمل العطش !

الراجل

أتدري ان العطش بدأ يضايقني ؟ لكن ساصبر عليه كما قلت !

الراكب

أتدري ، هناك امر : اذا فزع الانسان من شيء بات هذا الشيء اشياء ، حاذر ان تذكر العطش لئلا نعطش فوق عطشنا .

الراجل

صدقت ! لكن نريد ان نتسلى !

الراكب

اذن نغني ، ان الغناء يسلي . ألا تعرف الحداء ؟

الراجل

لا اعرف الحداء ولا اغني ، أتدري لماذا ؟ اتعب وينشف ريقي .

الراكب

صدقت ! اذن نظل ساكتين . آه ! أرى ، انظر ما هذا ، أليست جثة امرأة هذه ؟ هذه شعور امرأة الشعور المنفوشة هناك ، اذهب وانظر !

الراجل

لا والله لا اذهب .

الراكب

لماذا ؟

الراجل

ان الجنيات يظهرن غالباً بمظهر مثل هذا ليهزأن بنا ، ويضحكن على عقولنا ، فلن ادعهن يفعلن هذا بي !

الراكب

ماذا تقول ؟ لا افهم !

الراجل

من يدريك ألا تكون هذه المرأة المطوحة هناك جنية تمثلت في جثة امرأة لتلعب دوراً علينا ؟ انا لا اجسر ان ادنو منها ، انزل انت !

الراكب

يا لك من جبان ! لو لم اكن راكباً لرحت ارى ، اذهب وانظر !

الراجل

قلت لك : لن اذهب .

الراكب

اذن اصبر ! سانزل انا لارى !

(ينزل عن الناقة ويترك لجامهـا بيد الراجل ويمضي ليرى . يثب الراجل على ظهر الناقة،يلكزها بقدميه فتعدو به مسرعة ...)

صاحب الناقة

تعال انظر ، هذه امرأة ميتة !

(يلتفت)

آه ! قف ايها اللعين ، قف .

(يعدو وراءه)

الراكب

والله لن اقف ! سرت برفقتك ساعات ولم يمر ببالك ان تقول لي اركب دقيقة ، كيف اقف اذن ؟ سيري يا ناقة ! وانا احدو لك! ساتعلم الحداء الليلة !

(يظل صاحب الناقة عاديا صائحا، يختفي الاثنان ......)

(قهقهات متقطعة في الجو)

الطائف الثاني

هذا جميل ! لقد احسن الذي اغتصب الناقة !

الطائف الاول

حقاً احسن ! ما كان اطمع صاحبها ! لو انه تخلى عنها يركبها ذاك قليلا لما فعل ما فعل ، لكن !

الطائف الثاني

لقد فر بالناقة وترك صاحبها يتيه في الصحراء ! ماذا ترى ؟

الطائف الاول

اعترف باني حائر !

الطائف الثاني

انظر ، هذا منظر غريب ! أترى هذا الشاب كيف يجري خلف تلك الفتاة ؟

الطائف الاول

ارى !

الطائف الثاني

هذا منظر بديع ! اصبر .

(تدخل فتاة تلهث تعباً ، تقف
لتستريح فيأتي شاب نحيل يلهث تعباً)

الشاب (يلهث)

لم فعلت هذا ؟ تذهبين وابقى وحدي ؟

الفتاة

اتظن ذلك ؟ كنت امزح !

الشاب

اتعلمين ، لقد حسبتك جادة ! ألا تعلمين اني اخشى على صحتي الرقيقة فلا اسرع ، تريدين ان تسبقيني ؟

الفتاة

وتعود فتقول : اني اريد ان اسبقك ! لا ، قلت لك ! كنت اريد ان اروض بدني قليلا .

الشاب

اما كفاك قفز لا نهاية له تقطعه حتى تروضي جسمك ؟ انك تريدين ان تهربي .

الفتاة

قلت لك لا .

الشاب

اذن تعالي ، والله تعبت !

(يضع رأسه على فخذها الطرية
فلا تمانع . . . .)

الفتاة

أتريد ان تنام ؟ ماذا دهاك ؟

الشاب

بالله دعيني اغف غفوة على فخذك الناعمة .

(يقبل فخذها)

الفتاة

اذن ، نم ، لكن قليلا .

الشاب

نعم ، قليلا ، قليلا !

(يستسلم للنوم)

الفتاة (همساً في سرها)

الان ينام فازيح رأسه عن فخذي واطلق ساقي للريح ! يا الله كم

يضايقني هذا ! كانت ايام كنت اريده فيها ، اما الان فلا! اتحب امراة رجلا يطلب معونتها ؟ ليس فيه خير فلم ابقى معه؟ لأن افر منه ابحث لي عن رفيق يؤنسني في طريق الى النهر، افضل !

(تخاطب الشاب همساً)

الان اتركك هنا ! لن تراني بعد الان ، ستصحو من رقادك وتتلفت يميناً ويسارا فلا ترى الا الرمال تداعب الرمال !

(تضع رأسه على التراب بخفة ،
تبتعد في سكون ثم تنطلق مسرعة)

(تصحو الفتـاة الاولى . ترى
الشـاب . تأتي اليـه توقظه في
لطف . . . .)

الفتاة

افق يا هذا !

الشاب

اصبري قليلا . اني ارى حلماً لذيذاً . ارى انا بلغنا النهروشربنا
من مائه النمير !

الفتاة

قم . ماذا بك ؟

(ينظر اليها الشاب دهشاً)

الشاب

هي ! اين هي التى احبها ؟ من انت ؟

الفتاة

اسكت ، كنت في طرف الرابية التي تراها هناك فرأيتك فجئت

اوقظك لئلا تضربك الشمس . انهض .

الشاب

لكن اين التي احبها ؟ تلك ، اين هي؟

الفتاة

لم ار احداً . فمن هي ؟

الشاب

اذن تركتني نائما وراحت ! اين مضت وتركتني ؟ اهـذا نصيبي منها وقد احببتها ؟ تتركني وتفر ؟ لكن من انت ؟

الفتاة

انا ايضاً تركني من احب . تركني وفر هاوباً !

الشاب

انا ايضاً تركتني من احب . تركتني وفرت هاربة !

الفتاة

اذن نحن متساويان ! كنت اؤمل خيراً من حبيبي حتى فعل هذا !

الشاب

وانا كنت اؤمل من حبيبتي خيراً حتى فعلت هذا !

الفتاة

قم اذن . فاني احل محلها !

الشاب

تعالي • وانا احل محله !

الفتاة

أتريد ان تلحق بالقافلة ؟

الشاب

لا ! لماذا ؟ نبقى هنا ! والله هي التي جرتني !

الفتاة

وانا هو الذي جرني !

الشاب

التقينا ! تعالي • اجلسي قربي •نبقى هنا ولا نتعب نفسينا سدى• الآن تخف حرارة الشمس • والله لا ادري لم يذهب الناس بعيدا في طلب شيء لن ينالوه ؟ هم مجانين !

الفتاة

صدقت والله !

الشاب

نبقى هنا، أليس كذلك؟

الفتاة

هذا افضل !

(يلبسان : يتأمل الواحد الاخرى ....)

الشاب

اني مسرور .

الفتاة

وانا مسرورة . اندري انك جميل !

الشاب

وانت اجمل !

(يميلان على بعضهما في جنون)

(همسات خفيفة في الجو)

الطائف الاول

الا ننتهي اليوم ؟ سر بنا .

الطائف الثاني

لعلك رب تخاف ان تغفل عن خلقك ؛ لماذا تلح على الذهاب الا تسليك هذه المشاهد المتنوعة ؟ اترك ذينك المرورين وانظر هذا !

الطائف الاول

اتريد دوما ان تشغل بالي بشيء جديد ؟ تباً لهذه الصحراء كم تنبت من انواع ومع ذلك يقولون انها صحراء .

الطائف الثاني

انظر هذا . ان منظره مضحك ! الا تضحك ؟

الطائف الاول

الا تراه سائراً بتمهل بخلاف غيره ؟

الطائف الثاني

صدقت . من يدري . ربما كان شعره المنفوش المتدلي على كتفيه سبباً في تمهله !

الطائف الاول

ماذا تعني ؟

الطائف الثاني

ان هذا النوع من الناس اذا سار مسرعا خيل اليه ان الشياطين تلحق به . لذلك يخاف الاسراع خوف ان تتهادى شعوره في نور الشمس فيحسبها شياطين تنط على رأسه ! الخلاصة انا اهزأ بامثاله !

الطائف الاول

اما انا فلا .

الطائف الثاني

اصغ . لنسمع هذيانه !

السائر

هذه رمال تماوج لا يدرك ما خلفها البصر ! هذه هضاب قائمة في قوة تخفي تحتها ركاما : لعله حظ البشر . هذه السماء صافية تألقت في رحابها الشمس الوضيئة ! اين الطيور تغرد في هذا الخلاء الصامت تملؤه حياة ؟ الا تغرد لي فتؤنسني في سيري ، انا الذي برحت بابناء جنسي ؟

من يسمعني اذا ناديت ! لا احد ! لاجرب .

(ينادي)

يا طيور . يا طيور . لم ترد ! ذاك طير سمع صوتي فاجفل هارباً .

(سكون رهيب)

الطائف الاول

دعنا منه .

الطائف الثاني

انه مجنون . اليس كذلك ؟ قلها ولا تخف .

الطائف الاول

لكن اتعلم انه هو الوحيد الذي يستفيد من سيره في الصحراء ؟

الطائف الثاني

لا اعلم ولا اريد ان اعلم .

الطائف الاول

اذن سر بنا .

الطائف الثاني

لا . قف . هذان رجلان يتنازعان .

(يظهر رجلان مع احدهما قربة
ماء . . . .)

الرجل الاول

اذكر اننا كنا صديقين .

الرجل الثاني

اذكر ذلك . لكن لا صداقة بيننا الآن !

الرجل الاول

لكن لا تنس ان القربة لي . وقد خطفتها مني .

الرجل الثاني

خطفتها منك لانك كنت غافلا عنها . ان قربة ماء في الصحراء تساوي ملء الارض ذهباً . وقد اخذتها وستظل معي .

الرجل الاول

لكنها لي .

الرجل الثاني

واصبحت لي !

الرجل الاول

الحق اني حتى الآن احترم الصداقة التي بيننا .

الرجل الثاني

رجائي اليك الا تحترمها .

الرجل الاول

باسم الصداقة اتوسل اليك ان تعطيني قربتي .

الرجل الثاني

باسم الصداقة المزعومة ارفع اليك رفض طلبك .

الرجل الاول

اسقيك منها . هاتها .

الرجل الثاني

اما انا فلا اسقيك . وستظل معي .

الرجل الاول

لقد تحملت اكثر من اللازم . هات القربة .

الرجل الثاني

قلت لك : لن تأخذها ! كانت لك فصارت لي .

الرجل الاول

أاغتصاب ؟

الرجل الثاني

اغتصاب واستهتار . ماذا تريد ؟

الرجل الاول

قلت اريد القربة . اريدها بهدوء .

الرجل الثاني

واذا لم اعطك اياها !

الرجل الاول

آخذها بالقوة !

الرجل الثاني (في سخرية)

هاها ! خذها اذن !

الرجل الاول

طيب اسمح لي بها اذا أردت .

الرجل الثاني

مستحيل !

الرجل الاول

لكني عطشان . وهي لي . فاسقني قطرة .

الرجل الثاني

وهل تحسب اني لست عطشان مثلك ؟ ان حلقي يحترق لكن لن اسقيك قطرة !

الرجل الاول

لماذا ؟ هيا نشرب معا !

الرجل الثاني

تبقى القربة لي وحدي !

الرجل الاول

انها قربتي ، هاتها !

الرجل الثاني

لن تأخذها ! امش في طريقك !

الرجل الاول

لن اسير من هنا حتى آخذ قربتي .

الرجل الثاني

اما انا فاسير . استودعك الله !

(يعترض سبيله)

الرجل الاول

لن تروح من هنا حتى تسلم القربة !

الرجل الثاني

الا تفهم ؟ قلت لك لن تأخذها مني !

الرجل الاول (في غضب)

هات القربة والا !

(يحيد الآخر بالقربة قليلا ،
يهجم عليه الاول ، يفتح الثاني
فم القربة ويصب ماءها مقهقها)

الرجل الثاني (في لؤم)

الا تأخذ القربة ؟ خذها !

الرجل الاول (ناظراً الى الماء في دهشة)

ويحك ! لم صببت ماءها ؟

الرجل الثاني

لئلا تشرب منه ! ها ها !

الرجل الاول (هائجاً)

يا شقي ! الم يكفك اخذها حتى صببت ماءها امام عيني . فلم تستفد ولا افدت ! يالك من شقي !

(ينتضي خنجراً ويهجم به على
الثاني يغرزه في صدره . ثم
ينتزعه بحركة عصبية ويولي
هارباً . . . .)

الرجل الثاني

آه ! قتلتني يالئيم .

الرجل الاول　　(هاربا)

هذا جزاؤك . عاملتك بالحسنى فلم تلن . مت اذن كالكلب .

الرجل الثاني　　(يترنح)

آه . ليتني اعطيته القربة . آه ! لقد افتريت على نفسي .؟

(يسقط على الارض يتلوى الما)

(يبدو من بعيد جواد عاديا
بسرعة فائقة . يعثر الجواد اذ
يدنو . يسقط الفارس يهم
بالنهوض . لا يقدر . بينما يشرد
الجواد في الصحراء في جموح .
يدنو الفارس من الجريح زحفا)

الجريح (يبادره)

آه ، بربك ! امعك ماء ؟

الفارس (متألما)

لا والله ! ان الجواد فر بالقربة التي كانت معي .

الجريح

يا ويلتاه ! اسقوني . عطشان .

الفارس

آه ! ما هذا ؟ دم ! ما بك ؟

الجريح

آه . لا تسألني . طعنني صديقي بخنجر وهرب .

الفارس

بئس الصديق !

الجريح (في نفسه)

نعم الصديق ! اراحني من العذاب الطويل .

الفارس

كيف تحس نفسك الان ؟ لقد انسيتني المي !

الجريح

اتألم . هات لي ماء ! انظر هناك . الا ترى الماء يلمع في ضوء الشمس ! اسع اليه وآتني بقليل منه . اني اموت عطشا !

الفارس

ليس ماء ما ترى ! انهو الا سراب !

الجريح

سراب ؟ ما السراب ؟

الفارس

هو طيف الماء في الصحراء .

الجريح

والنهر الذي نذهب اليه ،اليس فيه ماء؟

الفارس

طبعاً ! انه نهر .

الجريح

اخشى والله ان يكون ذاك النهر سراباً !

الفارس

لا . انه ماء لماع عذب .

الجريح

من يدري ؟ لكن قل لي : من اين اتيت انت ؟

الفارس

آه ! والله كنت هانئا في داري ، سعيداً ، حتى سمعت الناس يقولون : ان قافلة مضت الى النهر لتنعم بصفاء مائه وعذوبة خريره فعزمت على اللحاق بها . فاسرجت خير جيادي واكثرت معي الزاد ! ثم طفقت يعدو بي الجواد لادرك القافلة ، حتى وصلت الى هنا . فعثر الجواد وسقطت وهرب الجواد . . . آه ! يا ساقي !

الجريح

انت تعيس مثلنا ! ظننتك لا تقصد النهر .

الفارس

كنت اقصده ، اما الان فاني نادم . من لي بمن يرجعني الى داري وله نصف ما املك ، آه !

الجريح

بربك ماء ، اسقني !

الفارس

قد علمت الا ماء هنا ، تجلد !

الجريح

آه اتجلد ! نعم اني اتجلد ! ارى دمي ينزف وحياتي تذوب واتجلد. انظر هذا الشبح الهائل فاغراً فمه ! ما اقسى قلبه ! الا تراه ؟ انه هناك واقف في كبرياء ، انه قادم . دنا ! ها هو يهوي بفمه على جرحي يمتص بقايا دمي ! لعله هو الاخر عطشان ! لكن الى نوع آخر من الماء ! عطشان الى الدم . الى دمي ! آه يا ويلي !

رفقاً بي ايها الشبح ! ابق لي قطرة دم في جسدي الواهي ! ألا ترتوي ؟ دع لي دمي اعيش به قليلا ! فلعلي ادرك النهر وهناك اجود عليك بما تريد ! اتحسبني اكذب عليك ؟ ابداً . انقلني الى هناك وترى ! كف عني قليلا ! انقلني .

آه ، لعلك رققت لحالي ! انت تحملني بين ذراعيك لكن مالفمك المرعب مهوياً على جرحي ؟ لا بأس ! احملني ، امض بي ، استودعك الله يا صاحب الجواد ، آه ، الان استرحت .

(يلفظ الروح)

الفارس (يتلوى الماً)

رباه ! أتكون نهايتي كهذا الرجل ؟ يا ويلي ! ياويلي ! ياطائر الجو اعرني جناحيك ، لا اريد ان اموت هنا ، لا اريد .

(يدس رأسه في التراب باكيا)

آه ! لن اموت !

(يدنو من القتيل ، يتلفت الى
كل الجهات ، يفسح عن جرحه
ويهوي بفمه عليه يمتص دما)

الفارس (صائحاً في جنون)

لن اموت ! اتسمعين ايتها الكائنات ؟ لن اموت ، لقد ارتويت ! ارتويت !

(ناحية اخرى ، تلوح عجوز في
جسم ناحل هزيل .....)

العجوز

لقد ضحك مني ذلك الوغد اذ قال لي : اني ساجد هنا رجالا كثيراً اتلذذ بمضاجعتهم ! لقد اوهمني ليفر برفقة تلك الخبيثة . آه ! ما كان اغباني اذ صدقته ! الان خلا له الجو . انها معه الان ، ستنام على ذراعه طول الليالي تمتص دمه ، تباً لها ! لم سمعت وصدقت ؟ أتركته لا ٓتي الى هذا القفر الخاوي لا اجد من اضم ويضمني .

ايتها الصحراء ارسلي لي من ينام معي ! أهكذا تقفرين من جسد رطب ؟ اعطيك نصف دمي اروي به تربتك القاحلة اذا ارسلت لي

من انام معه ، ارسلي من يطفيء حرقتي ، ألا تكفي حرقة في الحلق حتى أبلى بحرقتين : في القلب وفي البدن ؟ لا اريد من يطفيء حرقة حلقي ، اريد من يطفيء حرقة بدني ! هذا الذي تزيده حرارة الشمس اتقاداً والتهاباً ! ألا ترينه ايتها الصحراء كيف يتململ يبحث عن رفيق ؟

تباً لي ! لم اتيت اليك ؟ لقد كنت هناك هادئة لا تثور في طبيعتي حتى جئتك فاشتعلت ، ثم تضنين علي بجسد !

ايها الهواء ، ايها النور ، ايتها الارض والسماء ، انظري جميعاً الى جسدي وتملي منه ومن نظر اليك يوما فاقذفي في بدنه ذرة مما في بدني !

ايتهـا الارض انت اقرب شيء ملموس الي ، ان السماء والهـواء والنور ليست مثلك ! استعدي ايتها الارض فاني سأتمرغ عليك .

(تتمرغ في فضاء الارض ثم تنهض
قائمة اذ ترى حية تهجم عليهـا
تقبض على رأسهـا . . . .)

العجوز (تخاطب الحية)

ايتها الحية ، أأنت كل ما جادت بك الصحراء ؟ شكراً لك ايتها الصحراء الرهيبة . انك كريمة ، جدت علي بحية . وانت يا حيـة القفر الا يرضيك جسدي تنسابين عليه في امان ؟

هاك جسدي !

(تتلوى الحيـة على جسدهـا ،
تمسك العجوز رأس الحية . .)
اني لا اكتفي بهذا ، اريد منك غير هذا ، انظري هذين الثديين المتهدلين ، ارضعي منهما او ارضعيها !

(تدس الحيـة تحت كل ثـدي
فتلدغها فيه . تلـقي بالحيـة على
الارض وترتمي هي عليها تطوقها
وتتقلب بهـا على فضاء الارض)

(همهمة غامضة في الجو)

الطائف الاول

بالله دعنا من هذا . امض بنا . لقد ارعبتني هذه العجوز .

الطائف الثاني

حقاً انها جبارة .

الطائف الاول

ترى لو صادفت جسد انسان ما كانت تفعل به ؟

الطائف الثاني

ادع لك تصور ذلك !

الطائف الاول

سر بنا !

الطائف الثاني

انظر هؤلاء الواقفين بعيداً .

(رجال ثلاثة ، الثالث يرمق
الاثنين بنظرات حيرة وقلق)

الرجل الاول

الافضل ان نمضي من هنا ، فقد اوشكت الشمس ان تدور دورتها ونحن لا نزال كما كنا . هيا بنا !

الرجل الثاني

لكن لا تنس اني آليت على نفسي الا ابرح هذا المكان الا متى اقنعتك .

الرجل الاول

قد افهمتك اني مستعد لآخذ برأيك ، اذا انت الزمتني الحجة .

الرجل الثاني

وقد ادليت لك ببراهين مقنعة ، لكنك تصر على الانكار .

الرجل الاول

بسيط ، نراجع الامر من اوله ، لكن باسلوب جديد .

الرجل الثاني

اذن ، قل لي ماذا تنكر ؟

الرجل الاول

ماذا انكر : ارجوك ، انا السائـل ، ماذا تريد ان تبين لي ؟

الرجل الثاني

اريد ان ابين لك ان الظل في المساء اطول منه في الصباح .

الرجل الاول

وانا اقول ان الظل في الصباح اطول منه في المساء .

الرجل الثاني

تذكر جيداً انا رأينا ظلالا عديدة في الصباح !

الرجل الاول

لكن نسيت تحديد الوقت،متى رأيتها ؟اين كانت الشمس اذ رأيتها؟

الرجل الثاني

بعد ان اشرقت الشمس .

الرجل الاول

قف ، ليس هذا ما اريد ، اريد وهي تشرق .

الرجل الثاني

وهل لاحظت هذا انت ؟

الرجل الاول

نعم لاحظت !

الرجل الثاني

اذن ماذا رأيت ؟

الرجل الاول

رأيت وكأن شيئاً وجد من عدم ! رأيت ظلي على الارض طويلا لكن اتظن اني رأيت اخره ؟ لا !

الرجل الثاني

تقول : رأيت شيئاً من عدم ، كيف يكون ذلك؟

الرجل الاول

هل كان لي ظل قبل ان تشرق الشمس ؟

الرجل الثاني

لا !

الرجل الاول

وبعد ان اشرقت؟

الرجل الثاني

كان لك ظل !

الرجل الاول

اذن من اين اتى الظل ؟

الرجل الثاني

الشمس اوجدته .

الرجل الاول

اذن لم يكن موجوداً قبلا !

الرجل الثاني

كان موجوداً .

الرجل الاول

اذن كيف توجده الشمس وقد كان موجودا ؟

الرجل الثاني

ان الشمس لم توجده .

الرجل الاول

لا تنس انك قلت عكس هذا من قبل ! اما ان يكون موجوداً فلا فضل بعدئذ للشمس واما ألا يكون والفضل عندئذ للشمس .

الرجل الثاني

الشمس اظهرته للعين وقد كان موجوداً .

الرجل الاول

كيف تثبت لي وجوده قبل ان تظهره الشمس ؟

الرجل الثاني

اذن كيف تؤمن بوجوده بعد ان اظهرته الشمس ؟

الرجل الاول

لانني اراه !

الرجل الثاني

اطرح عليك سؤالا : هل تستطيع الحياة دون هواء ؟

الرجل الاول

ابداً .

الرجل الثاني

قل لي اذن : هل ترى الهواء انت ؟

الرجل الاول

لا اراه !

الرجل الثاني

وانت تؤمن بوجوده مع ذلك .

الرجل الاول

هذا صحيح .

الرجل الثاني

طبق هذا على الظل !

الرجل الاول

مهلا ، انا لا ارى الهواء لكن احسه ، اما الظل فلا اراه ولا احسه ، كيف السبيل الى التوفيق بين الظاهرتين ؟

الرجل الثاني

لكنك ترى الظل .

الرجل الاول

بعد شروق الشمس ،اما قبله فلا !

الرجل الثاني

اذن لم يكن الظل قبل الشروق.

الرجل الاول

هذا ما قصدت اليه .

الرجل الثاني

لكن عفواً ، نسيت شيئاً، ايهما لم يكن موجوداً،الشمس امالظل؟

الرجل الاول

الاثنان .

الرجل الثاني

اذن كيف كانت الشمس عدماً فصارت وجوداً ؟

الرجل الاول

لاننا نراها .

الرجل الثاني

وهل يعني ذلك انها لم تكن موجودة قبل ان نراها ؟

الرجل الثالث

أتريان ، هذا دأبكما ابدا ، تطرقان موضوعاً وتتجادلان في آخر
لقد مضى عليكما زمن طويل تتناقشان ولما تصلا الى غاية . انتما

تتباحثان في طول الظل صباحا ومساء ، فما لكما ووجود الشمس وعدمها ؟

الرجل الثاني

صدقت والله ، لنعد الى ما كنا عليه ، انت تقول ان الظل في الصباح اطول منه في المساء وانا انكر ذلك .

الرجل الاول

انت لا تنكر فحسب ، انت تقول العكس .

الرجل الثاني

صدقت .

الرجل الاول

كيف تؤمن بما تدعي وانت لم تر الظل في المساء بعد ؟

الرجل الثاني

سمعت هذا عن ابي .

الرجل الثالث

فهمت نقطة الخلاف . فهمت انكما مختلفان على امر لا خلاف عليه ، اما الظل في الصباح فيمتد الى اللانهاية . وكذلك الظل في المساء ، اذن لا فرق بين الامرين .

الرجل الاول (في نفسه)

يمكن ان يكون صوابا ما قلت .

الرجل الثاني (في نفسه)

غير بعيد ان ينطق بالحق .

الرجل الثالث

اذن انظر ؛ هذه الظلال تمتد في نور الشمس الى الامام وسوف تصل الى حين تكون فيه طويلة بحيث لا تقاس ، كذلك كانت في الصباح . اذن لا الظل في الصباح اطول منه في المساء ولا الظل في المساء اطول منه في الصباح .

الرجل الاول

صدقت!

الرجل الثاني

صدقت!

الرجل الثالث

لكن الامر الذي لم تبحثاه ، هو هل يمكن ان نصل قبل الغروب ام لا ؟

الرجل الاول

صحيح ، فاني احس بتعب ، وقد كاد يحترق حلقي عطشاً .

الرجل الثاني

اما انا فابصرته بام عيني .

الرجل الثاني

هل ابصرت الظل في المساء ؟

الرجل الاول

لا !

الرجل الثاني

اذن كيف تجزم بتفوق الظل في الصباح عليه في المساء ؟

الرجل الاول

صدقت .

الرجل الثالث

انتما في صحراء ، عليكما قطعها لتصلا الى النهر ، وها هي الشمس اصبحت وراءنا .

الرجل الاول

سنسرع بعد ان ننتهي من هذا .

الرجل الثالث

تالله جف ريقي عنكما ، الا تفتران قليلا عن الجدال؟ والله احسن رفيقانا: ذهب الاول وقد مل رفقتنا ولعله ادرك النهر ، وعاد الثاني وقد سئم الحديث ولعله بلغ داره . اما نحن فلا نزال حيث كنا تدور الارض تحتنا ونحن نحرص على البقاء مكاننا ! أليس كذلك هل تتركان الامر لي ابت فيه ؟

الاثنان

اعطنا رأيك .

الرجل الثالث

وانا والله كذلك .

الرجل الاول

ايبعد النهر كثيراً من هنا ؟

الرجل الثالث

هــل تحسب نفسك سرت في الصحراء ؟ انــك لا تزال في اول الطريق !

الرجل الثاني

هيا بنا نذهب يمينا .

الرجل الاول

الافضل ان نذهب يسارا .

الرجل الثالث

الطريق الــوي . افضل الى الامام .

الرجل الاول

بوسعي ان اقنعك ان السير الى اليسار افضل .

الرجل الثاني

وانا بوسعي ان اقنعك ان السير الى اليمين احسن .

الرجل الثالث

اما انا فلا اقنعكما بشيء . انا ماض في سبيلي . الى الامام .

الرجل الاول

الاتفاق افضل .

الرجل الثاني

لنتفق اذن . انت تقول ...

الطائف الاول

ايظلان هكذا ابداً ؟

الطائف الثاني

تالله لو استطعت لامسكت بلسانيها وانتزعتهما من الاصل .

الطائف الاول

لكن المؤلم ان يكون رجل آخر تابعاً لها . لايسير حتى يسيرا . تالله ان هذا صعب .

الطائف الثاني

هناك كثير من هذا القبيل . الضحايا هم التابعون .

الطائف الاول

اللهم لم لا تهدي كل امريء بنفسه فلا ينتظر اوامر آخر ؟

الطائف الثاني

ان الله يسر للانسان كل شيء . لكن كثيراً من الناس يريدون ان يتخلوا عن حقوقهم لاخرين . وياله من خسران مبين !

الطائف الاول

اتريد ان تقول ان الانسان عليه الاستعانة بالله مباشرة دون

وسيط ؟

الطائف الثاني

الا ترى ذلك افضل اذا كان الوسطاء على شاكلة هذين المتوهين ؟

الطائف الاول

لا ادري ! سر بنا .

الطائف الثاني

هيا ننتقل من هذا المكان . اتدري ؟ هيا نرى اول القافلة . رأينا بقاياها فهيا نراها كاملة . الا ترى الشمس تميل الى المغيب ؟ هناك منظر لذيذ . هيا . اصبر . انظر هذا الشيخ . يا له من بليد .

(يظهر شيخ هرم يتوكأ على عصا غليظة . . . .)

الطائف الاول

لو تعلم ان هذا اقرب الى الوصول منهم ؟

الطائف الثاني

في عقلك المعوج طبعا . تالله لو استطاع لتقدم الجميع . لندن منه ونرى .

الشيخ (في صوت ضئيل)

لا ادري ما كتب الله لي . كلما اخطو خطوة احسني ارجع اخرى . اريد ان اصل . يا للطريق ما اطولها . ايتها الارض انطوي تحت قدمي لاصل قبل الناس . لم يكون الناس افضل مني ؟ الاني اصبحت شيخاً كبيراً يسبقني الناس ؟ لا اريد ان الحق بهم . اريد ان اسبقهم ! مرحى لقدمي ، انهما تنشطتا . هاهما تخطوان بسرعة سيرى غيري أني اقدر منهم . ساصل قبل الجميع .

(يسرع)

الطائف الثاني (مقهقهاً)

والان ماذا تقول ؟

الطائف الاول

حقا ان منظره خداع .

الطائف الثاني

حاذر مرة ثانية ان تنخدع بهذا النوع من الناس . الان هيا نتقدم القافلة .

(تذوب الاصوات بينما ترتمي
اشعة الشمس خفيفة ضئيلة ..)

(تلوح القافلة من بعيد . تمتد
ظلالها الطويلة في نور الشمس .
ضجة غامضة من بعيد . همسات
في الجو . . . .)

الطائف الاول

انظر . انهم يتقدمون ايضا . وهذه الشمس آذنت بالمغيب !

الطائف الثاني

الا ترى ذلك الطائر الحلو الذي يسير امامهم ؟ هو يلهيهم طالما هو باد عليهم . فاذا غابت الشمس وغاب الطائر في الظلام تلفتوا الى انفسهم وصحوا من سكرتهم .

الطائف الاول

حقا ان هؤلاء الناس مساكين .

الطائف الثاني

هم اصل عذاب انفسهم ! اسمع ها هد دنت القافلة !

(صيحات . آهات . تنهدات .
ضحكات مريرة . غناء . عويل
وطء اقدام غليظة . ضجة
قوية . كل ذلك في وقت واحد)

رجل

رباه ! ايطول بنا المسير بعد ؟ متى نصل ؟ اكاد اموت عطشاً ! اسقوني . اسقوني .

آخر

هه هه ! اي شيطان دهى بعقلي فاسلكني هذه الطريق ؟ لئن عدت الى بلدي فلن اوجه وجهي الى هنا !

شاب

قه قه قاه ! اضحكوا ! لا تشمتوا الوجود بنا . اضحكوا ! ما لكم واجمين ؟ اضحكوا ! انا نموت . الا يضحك الموت ؟ قه قه قاه ! ايها الموت اني اضحك منك . اهزأ بك . اتفهم ؟

اضحكوا يا اخواني معي . اضحكوا على الموت . هذا المتربع بجبروت فوق هاماتنا ! آه ! اهبط ايها الموت عن كتفي وتعال بارزني . انت تتغلب علينا بمكرك . لو برزت يوما الينا لرأيت منا العجب ! لكنك جبان تغدر بنا ! افعل ما تريد . انا لا اهابك قه قه قاه ! ..

فتاة

بالله جروني فقد تصلون فاشرب معكم ! من يحملني وله قبلة من شفتي ؟ مالكم لا تنظرون الي ؟ العلي لم اعد جميلة ؟ اني لا ازال جميلة . تعالوا الي . احملوني . من يحملني وله فركة من نهدي ؟ حتى هذا لا تريدون ! من زمن كنتم تترامون على قدمي لالقي عليكم نظرة . اما الان فقد اعرضتم عني !

آه ! اي مجنونة كنت اذ رافقتكم ! من يحملني له جسدي يتمتع به كما يشاء . اتسمعون ؟ جسدي . هذا الناعم ! جسدي ! تعالو .

شاب آخر (يغني)

اصبروا . اصبروا . سوف نصل !

رجل (يبكي)

ما اضيع الحياة في هذا القفر !

كهل

افرحوا يا رفاق . لقد لاح النهر . اسرعوا . من كان في نفسه رمق فليحتفظ به . ها قد دنونا ! النهر قريب ! سنشربه جميعاً ! لا ندع فيه قطرة . اسرعوا .

آخر

نسرع ؟ مجنون ! الا ترى الشمس ؟ تباً لك ايتها الشمس . الان تميلين للغروب . قفي مكانك . اقول لك قفي . الا تسمعين ؟

تباً لك .

(يرشقها بحجر)

رجل

اسرعوا . قد قربنا . الليلة ليلة مباركة .

آخر

ارى انك اعمى . اعماك وهج الاصيل . اذا كنت لا تستطيع النظر الى الشمس فانظر الى هذه الجبال كيف تغرق في الظل ! الا يدلك هذا ان الشمس تغرب ؟ الا ترى في السماء ذوبان الانوار وسريان الظلمات ؟ اذا كنت اعمى فدعني افتح عينيك بحفنة من تراب !

(يذر التراب في عينيه)

الاول

يا لك من شقي ! لم فعلت بي هذا ؟

الثاني

لم فعلت بك هذا ؟ فعلته لاريك اشياء تعمى عنها !

الاول

لو ان قوتي معي لاريتك .

الثاني

لو لم تباغتنا الشمس بالغروب لقتلتك !

الاول

الهيتي يا خبيث . اسرعوا . اسرعوا . هاقد وصلنا ! ان الشمس تمزح معنا ! فهي تختفي وراء غيمة عابرة لتظهر لنا ساطعة بعد ذلك !

الجميع

هيا . اسرعوا .

(تصل القافلة الى هضبة عالية .
فوقها خيمة ....)

الدليل

قد وصلنا ! ها هو النهر لاح عن بعد ! افرحوا ايها الناس . انسوا اتعابكم . لم يبق علينا الا ان ندور خلف هذه الهضبة لنشهد منبع النهر ! الا تسمعون هديره ؟

(يخرج من الخيمة شيخ هرم
ابيض شعر الرأس .....)

الشيخ (يستوقف القافلة)

ايها العابرون الى اين انتم ذاهبون ؟

احدهم

احذروا منه . لعله شيطان . فلقد حدثني ابي انه عندما تصل القافلة الى النهر يظهر لها الشيطان ليضلها !

الجميع

اسكت . الى النهر نحن ذاهبون ايها الشيخ .

الشيخ

ارجعوا يا اولادي ! لقد مرت قبلكم قافلة وقبلها قافلة وقبلهما قوافل . ولم يرجع منها احد . لقد ابتلعتها الصحراء العظمى كأنها لم تبتلع شيئاً ! ارجعوا من حيث جئتم فان النهر جف !

الجميع

ماذا تقول ايها الشيخ ؟

الشيخ

لقد جف النهر . جف من امد بعيد وقامت مكانه صخور محددة الرؤوس تدمي الاقدام . ارجعوا يا اولادي فان النهر جف !

الجميع

آه !

(تغيب الشمس فيترامون على الارض يستفون التراب في جنون يأس . تدوي قهقهات رهيبة . .)

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٩	١٧	تغور	تفور
١	٣٣	تغف	تقف
٤	٤٣	علينا	علي
١٧	٥٣	رأيت	كان
٢	٥٦	لتفعلينه	لتفعليه
٢	٨٣	عتدلت	اعتدلت
٣	٨٥	ولداه	مولولا
١١	٨٥	يعودان	يعدوان
١٦	١٠٤	من	ما
١٦	١٠٤	تمثلت في	تمثلت
٧	١٠٥	يلكزها	يكزها
١١	١٢٠	(يعترض سبيله)	تأتي بعد عبارة الرجل الاول

ووقع خطأ في الصفحة ١٣٧ ، فاقرأ الى السطر الثالث عشر ، ثم انتقل الى الصفحة ١٣٨ واقرأ من السطر الثامن عشر الى السطر الاول من الصفحة ١٤٠ ، ثم ارجع الى السطر الرابع عشر من الصفحة ١٣٧ .

انتهى طبع هذا الكتاب في ١٦ تشرين الاول سنة ١٩٣٧
وطبع منه الفا نسخة على ورق عادي

